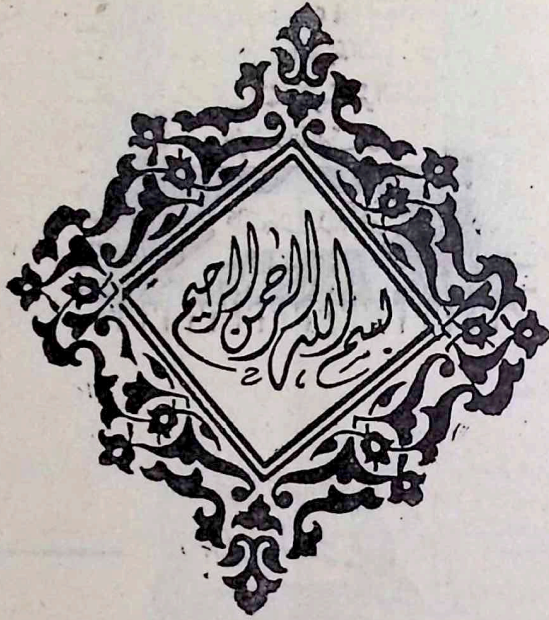


الأندلس

مجلة دينية ثقافية اجتماعية

صاحب الميثاق
أحمد محمد

العدد العاشر
السنة الخامسة عشرة
جمادى الثاني ١٣٨١ هـ
٩ نوفمبر ١٩٦١ م



صاحب الاختيار
أحمد حمزة



« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا . فَأَصْبِرْ بِحُكْمِ رَبِّكَ
وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كُفُورًا . وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا .
وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا . إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ
الْمَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا . نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا
أَسْرَهُمْ ، وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا . إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا . وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا . يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمِينَ
أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . »
(قرآن کریم)

من الأحاديث القدسية

الحديث القدسي هو ما أخبر الله تعالى به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم ،
بإلهام أو في منام ، وعبر الرسول عن ذلك المعنى بمباراة من نفسه ، وهو
بمخلاف الحديث النبوي ، لأن الحديث النبوي هو ما ينسب إلى الرسول
لفظًا ومعنى . والحديث القدسي أيضاً غير القرآن ، لأن القرآن هو اللفظ
المتواتر المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للتجدي والإعجاز بسورة
منه ، وهو التمسيد بتلاوته ، ولا تجوز الصلاة بغيره ، ويكفر منكره
وجاحده ، ولا تجوز روايته بالمعنى ، ولا بتغيير أى حرف منه . إلخ .

ومن الأحاديث القدسية :

١ - « ابن آدم ، عندك ما يكفيك ، وأنت تطلب ما يطنيك ! لا بقليل تقنع ، ولا من
كثير تشبع ! إذا أصبحت معافى في جسدك ، آمناً في سربك ، عندك قوت يومك ، فلي
الدنيا العفاء ! » . (رواه البيهقي وابن عدى عن ابن عمر) .

٢ - « أحب ما تمعبدني به عبدي النصيح لكل مسلم » . (رواه أبو نعيم وأحمد عن
أبي أمامة الباهلي) .

٣ - « إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها ، كتبتهَا له حسنة ، فإن عملها كتبتهَا عشر
حسنات إلى سبعمائة ضِعْف . وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتهَا
سيئة واحدة » . (رواه الشيخان والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة) .

٤ - « أربع خصال : واحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادي ،
وواحدة لي ، وواحدة لك ؛ فأما التي لي فتمعبدني لا تشرك بي شيئاً ، وأما التي لك فما عملت
من خير جزيتك به ، وأما التي بيني وبينك ، فمنك الدعاء ، وعلى الإجابة ، وأما التي بينك
وبين عبادي : ترضي لهم ما ترضى لنفسك » . (رواه أبو نعيم عن أنس) .

تفسير القرآن الكريم

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ ، إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ، وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ انْقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَقِيلَ (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ، وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ، قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَسْكَدُونَ بِفَقْهِهِمْ حَدِيثًا (٧٨) » .

« سورة النساء »

وغيره من صناديد المؤمنين ، ومنهم من يخشاه ويخافه ، وهذا الصنف في كل جماعة ، ولقد قال الله تعالى فيه :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ »

٢ - تكثر جمع المؤمنين نسبياً في مكة ، وخرجوا مهاجرين ، ليقموا دولة الفضيلة في المدينة ، وسكنها النبي صلى الله عليه وسلم واستقر بها ، وأخذ يعقد اليهود ، وينسق العلاقات بين المقيمين بها وحولها ، حتى يكون

١ - الآيات السابقة في الحضر على القتال ، وبيان أن القتال دفاع عن العجزة ، والنساء ، والأطفال ، الذين لا يجدون حيلة للخروج من الهوان والاستكانة للظالمين ، ولا يجدون سبيلاً لأن يخرجوا من ديار الذل أو يدفعوا عن أنفسهم أو ضاره وآلامه ، ففي القتال دفاع عن هؤلاء ، وإخراج لهم . ولكن المسلمين لم يكونوا سواء في تلقى شتات القتال : فمنهم من يتقدم للميدان ليهمه أن يقع على الموت أو يقع الموت عليه ، كعلي بن أبي طالب ،

الاطمئنان . ولقد أراد المؤمنون أن يتقدموا
لقتال المشركين ، حتى إن النسائي يروى أن
عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي
صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا نبي الله ، كفا
في عز ونحن مشركون ، فلما آمنّا صرنا في ذل !
يريدون أن يأمرهم بقتال المشركين . وسواء
أكان الطلب وهم بمكة ، أم كان وهم بالمدينة ،
قبل أن يتقدم النبي صلى الله عليه وسلم لدفع
أذى المشركين بالسيف بعد أن استمادوا وطفوا
في الأرض ، وأكثروا فيها الفساد .. فإن النبي
بحكم الله أمرهم بأن يكفوا عن القتال وقتاً ينظم
فيه الأمر بتقوية أرواحهم ، وتوجيهها إلى الله
تعالى لتخلص لله وحده ، وذلك بإقامة
الصلاة ، فإن الصلاة فيها تخلص النفس من
أدران المآثم ، والاتجاه بها إلى الله وحده ،
وهي إذا أدبت على وجهها تنهى عن الفحشاء
والمنكر ، كما أمرهم أن يتجهوا في هذه الفترة أيضاً
إلى تقوية أنفسهم ، والربط بين آحادهم بصلات
المودة والتعاون ، وإزالة ضعف الضمءاء ،
وذلك بإعطاء الفقراء الزكوات التي كانت
مفروضة في أول الإسلام . وإن تقوية الضمءاء
سبيل قوة الدولة ، كما قال صلى الله عليه وسلم :
« ابقوني في ضعفائكم ، فإنما ترزقون وتنصرون
بضعفائكم » ... حتى إذا استقام أمر الجماعة
الإسلامية كتب الله تعالى القتال الذي طلبه
من قبل أقوياء الإيمان ، ولم يعارضه غيرهم ،
فكان الطلب من الجميع ، كتبه الله تعالى
دفاعاً عن أهل الإيمان الذين يستندهم المشركون ،

ومنعاً للفتنة في الدين ، وإعلاء لكلمة الحق ،
ولكي يتقدم للإيمان كل مريد للحق طالب
له ، غير خائف من صولة الشرك . ولما كتب
القتال كان الصادقون الأقوياء آخذين الأهبة ،
ومستعدين للإقدام ، وكان الضمءاء في وجل ،
ولذا قال سبحانه :

« فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ
خَشْيَةً » .

٣ - الخشية الخوف الشديد مع مهابة
الضعيف لمن يخافه ، وهذا الفريق الذي خاف
القتال مع الهيبة من الأعداء هو من الضمءاء الذين
لا يعملون بإيمانهم . والتعبير بقوله تعالى في
أوصاف هذه الخشية : « وَيَخْشَوْنَ النَّاسَ
كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً » ، فيه بعض
إشارات بيانية :

أولها - أنه عبر عن الأعداء بقوله :
« الناس » ، وهو توبيخ أبلغ توبيخ ،
ذلك لأنهم أناس مثلهم ، وليسوا في الفضل
مثلهم ، وفوق ذلك مع أنهم أناس مثلهم ،
يجعلون خشيتهم في مقابل خشية الله تعالى
ذى الجلال والإكرام القاهر فوق عباده .

الثانية - التعبير بلفظ الجلالة فيه إشارة
إلى بيان خورهم وفساد تفكيرهم ، إذ يعملون
خشية الله جل جلاله ، في مقابل الخشية من
الناس ، والله تعالى إذا كان معهم وقاموا
بحق الجهاد ، فلن يخذلوا أبداً .

الثالثة - في التردد بين أن تكون خشيتهم من الله بمقدار خشيتهم من الناس ، أو أكثر ، فيه بيان لحال ضعفهم ، واستمكان الضعف ، وهو ترق في التوضيح ، إذ أنه من المقرر أن المؤمن لا يليق به أن يخاف الناس ، كما يخاف الله ، فكيف إذا كان يخاف الناس أكثر من الله ؟ ! ولا شك أن فريقاً من أولئك الضمفاء أو المنافقين كان على هذه الحال .

وأولئك الجبناء لا يكفون بالخوف والفرع ، بل يصل بهم الأمر إلى درجة أن يعترضوا على فرضية القتال :

« وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ ، تَوَلَّا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ . »

٤ - قد قالوا لفرعهم : ربنا الذي خلقنا ونمأنا وربانا ، لأى شيء كتبت علينا القتال وفرضته وألزمنا به ، وهو أمر مخوف مرهوب ؟ ! فن فرط ذهولهم وجبنهم ينسون العزة والكرامة ، وأنهم مطلبان لا ينالان إلا بالحرب والجهاد ، وينسون إذلال الكافرين للمؤمنين ، والفطنة في الدين ، ويسألون عن أسباب القتال ! . نعم إن القتال أمر تكرهه النفوس ، ولكنه إن كان دفعا للذل بصير واجبا ، كما قال تعالى : « كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ » ، فيصير القتال أمراً مستمراً لشرف النهاية التي تدعو إليه . وإذا ذكر أولئك الضمفاء بالباعث على شرعية القتال لا يذهب فرعهم ، بل يقولون

وجلين هلمين : « تَوَلَّا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ » ، أى : هلا أخرجنا في إجابة داعي القتال إلى زمن مؤجل قريب ؟ فهم بعد أن يمود إليهم رشدهم يطلبون أن يؤخروا هم ، لا أن تؤخر الفرضية ! . لقد كان كلامهم الأول في شأن الفرضية ، ولما أذكروا سوء قولهم ، كان كلامهم عن مطالبتهم بتأخير ذهابهم إلى القتال ، وذلك ما يدل عليه تمبير الله عنهم بقوله : « تَوَلَّا أَخْرَجْنَا » ، فهذا الفريق الضعيف الإيمان يريد أن يذهب المجاهدون الأبرار ، ويقعدوا هم مع القاعدين !! وقد قال في ذلك القرطبي :

(معاذ الله أن يصدر هذا القول من صحابي كريم ، يعلم أن الآجال محدودة ، والأرزاق مقسومة ، بل كانوا لأوامر الله ممتثلين ، سامعين طائعين ، يريدون الوصول إلى الدار الآجلة خيراً من المقام في الدار العاجلة ، على ما هو معروف من سيرتهم ، اللهم إلا أن يكون قائله ممن لم يرسخ في الإيمان قدمه ، ولا انشرح بالإسلام جفاته ، فإن أهل الإيمان متفاضلون : فمنهم الكامل ، ومنهم الناقص ، وهو الذي تنفر نفسه عما يكره به ، فيما تلحقه فيه المشقة ، وتدركه الشدة) . « قُلْ مَقَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى » .

٥ - إن الحرص على الدنيا والتعلق بها ، يدفع إلى الرغبة في البقاء على أى صورة كان البقاء ، سواء أكان البقاء في عزة أم كان في ذلة ، فطماع المال ومتاع الدنيا يحمل النفس

ترضى بالحياة بكل صورها، وقد بما قال العرب :
 (أذل الحرص أعناق الرجال) . فكان لابد
 لتربية روح الجهاد من تعريف المسلم بقيمة
 هذه الحياة ، ووزنها بالنسبة لما بعدها، ولذلك
 أمر الله نبيه أن يقول لهؤلاء الذين كانت
 خشيتهم للناس نخشية الله أو أشد، واضطربوا
 عندما أمروا بالقتال : إن كل منافع الدنيا
 ولذاتها قليلة ، مهما كبرت في نظركم ،
 فكثيرها قليل إذا كانت في ذلة ، ولا يبقى
 الانتفاع إذا تحكم فيكم الأعداء ، وهي فانية
 لا تبقى ، وكل ما يكون مآله الزوال ضئيل
 مهما تكرر في العدد ، وإذا وزن متاع
 الدنيا بمتاع الآخرة الباقى الخالد الدائم ، فإنه
 لا يكون شيئاً مذكوراً !! ولذا جاء قول النبي
 بأمر الله تعالى : « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ انْقَضَى »
 والآخرة بما فيها من متاع دائم خير من الدنيا
 بكل حذافيها ، لأنه لا نزاع فيها ، ولا شر
 يتحكم ولا مغالبة ، بل اطمئنان وهدوء، وبسرور
 مستمر ، لمن ينالون جنتها ويبدءهم الله تعالى
 عن جحيمها ، وهي مع ذلك أكلها دائم ،
 ونعيم مقيم ، ورضوان من الله أكبر . وإن أعمال
 الخير في الدنيا ، والجهاد في سبيل الحق ، هي
 السبيل لنيل ما في الآخرة من خير وجنات
 تجري من تحتها الأنهار ، ومن عمل عملاً صالحاً
 نال جزاءه موفوراً ، ولذا قال سبحانه وتعالى :
 « وَلَا تَظْلَمُونَ قَتِيلًا » .

٦ - القتيل : هو الخيط الدقيق الذي

يكون في شق نواة التمر ، وهو يضرب مثلاً
 للقلة والتفاهة . والمعنى : إنه إذا كانت
 الآخرة خيراً من الدنيا وأبقى من متاعها ، فإن
 طريق الآخرة هو الجهاد في سبيل الله ، والقيام
 بطاعته ، وإنكم ستنالون الجزاء الأوفى ،
 ولا ينقص من أحد منكم أى قدر من
 جزائه ، ولو كان قدراً ضئيلاً لا تأبهون له في
 دنياكم ، فإذا كان حرصكم هو الذى جعلكم
 تخشون القتال ، وترجئونه ، فإنه يجب أن
 يكون حرصكم كبيراً على ما هو أعلى وأعظم ،
 وما هو مؤكداً احتمال فيه . ولقد كان حرصهم
 وخوفهم من القتال ، لأنهم يريدون الحياة
 ويخافون الموت ، فبين لهم سبحانه أن الموت
 آت لا محالة ، وأنه لا حق بهم أنما يكونوا :
 « أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ ،
 وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ » .

٧ - البروج جمع برج ، وهو يطلق
 على الحصن المنيع ، ويطلق على القصر العالى
 الذى لا يصل إليه أحد، ويبنى للملوك والكبراء
 لكيلا تصل إليهم الرعايا . مشيدة : أحكم
 بناؤها ، وارتفعت ، أو بنيت بالشيد ، وهو
 الملاط القوى الذى تربط به اللبنة بعضها
 ببعض . ولقد قال طرفة بن العبد :

كانها برج رومى تكثفها
 بان بشيد وأجر وأحجار
 ومعنى النص : إن كنتم تريدون بعودكم
 عن الجهاد وطلب إرجائه أن ترجئوا الموت
 أو تطيلوا الحياة ، فقد أخطأتم ، فإنه

حيثما كنتم يدر ككم الموت ولو كنتم في أقوى الحصون ، وأمنمها ، وأحكمها بناء .

وفي التعبير بكلمة « يدر ككم » ، إشارة إلى أن الموت كأنه يطلب الإنسان ويتبعه حيثما كان ، وفي أى وقت كان ، فهو طالب لا بد أن يدرك ولا بد أن يصل ، لأنه حقيقة محقومة ، فإن فرستم منه فإنه ملائكم ، فلا تفروا منه ، واطلبوا الحق ولو أدى إليه ، وما أحسن ما قاله زهير بن أبى سلمى :

ومن هاب أسباب المنايا ينلته

وإن يرق أسباب السماء بسلم

وإن هؤلاء الذين ضعف نفوسهم قد يدفعهم اضطرابهم إلى أن تسيطر عليهم الأوهام ، فمنهم من يقول كلاما يثير الظنون ويستكت عنه الباقون منهم فكانهم قالوه ، ولذا حكى سبحانه القول عن هذا الفريق فقال : « وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ » .

٨ - أى إن تصيبهم حال حسنة تحسن

عندهم ، من رخاء أو خصب أو ظفر أو غنيمة أو سعة في الرزق ، يقولوا : هذه الحال من عند الله تعالى ، فإن كان النصر قالوا : من عند الله . وإن يصيبهم أمر سيئهم ، كالهزيمة ، قالوا : ذلك من مجد ، كأنهم ينسبونه إلى سوء تدبيره عليه السلام ، أو يتشاءمون به ، ويهبطون بذلك هبوطاً شديداً فالحسنة ما يحسن عندهم ، والسيئة ما يسوؤهم . وذلك التفكير الذين يفكرونه

ناشئ من ضعفهم النفسى ، وضعفهم الإيماني ، وسوء ظنهم بالنبي ، وذلك شأن أهل النفاق ومن يستمعون إليهم من ضمء أهل الإسلام : « قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » .

٩ - أى إذا كنتم تنظرون إلى ما قدره الله تعالى في علمه المكنون ، وما يوفق إليه عباده ، وما يعدهم به من عون ، فإن كل شيء من عند الله ، فالشدة والرخاء من عند الله ، والغنيمة والهزيمة بتقدير الله عند اتخاذ الأسباب ، فلا ينصر الله متخاذلاً ، ولا يخذل من يريد ما عند الله ، ويتجه إلى الجهاد مستعداً بقلبه وعدته وتنظيمه ، وبهذا يرد عليهم ما توهموه ، أو قالوه .

وقد بين سبحانه أن كلام هؤلاء كلام من لا يفقه الأمور على وجهها ، ولا يدرك معاني الأقوال والأفعال . ولذا قال سبحانه : « فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » . والمعنى : أن الأمر ثبت لهؤلاء الذين لم يدركوا الأمور حتى كادوا لا يدركون إدراكاً حقيقياً أى حديث يتحدثون به ، أو أى حديث يلقى إليهم ، فلا يعلمون أن الله هو القابض الباسط القادر على كل شيء . ! . وإنهم لو فهموا ما يقلى عليهم من كتاب الله والحكمة لاهتدوا ، وهذا الاستفهام توبيخ لهم وبيان لوصفهم الحقيقي ، وهو أنهم لا يكادون يفهمون معنى ما يسمعون وما يقولون ! اللهم اهدنا إلى الطيب من القول ، واهدنا إلى الصراط الحميد .

في مواطن البأس

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« شر ما في الرجل شحّ هالع ، وجبن خالع » .

وعن ابن عمر أنه قال :

« ما رأيت أشجع ، ولا أنجد ، ولا أجود ، ولا أراضى ، من رسول

الله صلى الله عليه وسلم » .

تعودان إلى شر المعاطب وأسوأ المهالك ،
فيخبرنا بأن أسوأ ما يصاب به الإنسان هو أن
يكون فيه بخل شديد يجعل صاحبه يهلع
ويفزع إذا طُوب بالإنفاق والبذل ، أو إذا
أرغمه مرغم على أن يؤدي حق الله وحق الأمة
في ماله من زكاة وغيرها . وما أروع التعبير
بالشحّ الهالع ، ونسبة الهلع إلى الشحّ نفسه ،
مع أن الذي يهلك في الحقيقة والواقع
هو الشحيح لا الشحّ ، وكأن صفة البخل
نفسها تستحيل شخصاً يحس ، فهو يهلع
ويفزع ، فيكون صاحبه — من باب
أولى — أشدّ هلعاً وفزعاً !!

كما يخبرنا بأن أسوأ ما في الرجل من
صفات أن يكون فيه جبن ظاهر ، كأنه يخلع
فؤاد صاحبه وقلبه . وهذا تصوير بليغ للجبن
وأثره في نفس صاحبه ، فإن الجبان الرعدي
إذا خاف ارتعدت فرائصه ، وارتجفت أعضاؤه ،

تحتاج الأمة في أوقات أزمتها ، وفترات
جهادها ، إلى صنفين كريمين من الناس .

الأول : صنف الباذلين المنفقين ، الذين
يبسطون أيديهم بالخير ، يسدون به خلة ،
أو يزيلون به فقراً وحاجة .

والثاني : صنف الشجعان الثابتين ،
الذين يقبلون على مواطن الشدة والبأس .
لا يبالون أوقفوا على الموت أم وقع الموت
عليهم ، لأنهم صمموا واعتزموا أن يمشوا
أعزة أو يموتوا كراما ، وهم مؤمنون بربهم ،
موقنون بقاءه في حياة أخرى خالدة باقية .

ولو أصيبت الأمة في هذه الفترات
العصيبة بالبخلاء والجبناء ، لكان مصيرها
الهلاك والفناء ، أو الذل والهوان ، « ورب
عيش أخف منه الحمام » ! . ولذلك نجد
الرسول صلوات الله وسلامه عليه يحذر من
هاتين الصفتين الحسيتين الخبيثتين اللتين

وزاد خفقان قلبه ، ووثب في صدره كأنه قد انخلع ، وكأنه يبحث له عن مفر يفر إليه لينجو بنفسه مما سبب له الخوف والاضطراب .

وإذا كان الرسول قد أخبر بأن الشح الهالع والجبن الخالع هما أسوأ ما في الرء من صفاته ، فإننا نفهم من ذلك أن خير أوصاف الرجل هما السخاء السمح والشجاعة الصادقة ، لأن اجتماع الجودة والجرأة يدل على نفس عظيمة كريمة في آن واحد ، فهي تبدي قوتها وعظمتها بثباتها وشجاعتها ، وهي تؤيد كرمها وسماحتها وأصيل نبلها بكرمها وواسع بذلها .

ومن هنا قال ابن عمر رضي الله عنه : « ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وصدق ابن عمر ، فقد كان نبي البشرية وسيد الإنسانية عذ مثلاً أعلى للناس في هذه الخلال الأربع ، التي تعتبر قواعد أساسية وأصولاً ثابتة لمكارم الأخلاق .

والشجاعة قوة يبعثها في النفس داع من دواعي الغضب على أمر غير محمود ، ويجب أن تكون هذه القوة مفقادة للعقل ، وإلا كانت تهوراً . والشجاعة هي التي تدفع صاحبها إلى الإقدام على الأهوال والمهالك ، بروية ودون اضطراب .

ولقد كان الرسول خير قدوة في الشجاعة ، شهد الحروب والغزوات ، وشارك في القتال

والنزال ، ولقد فر الشجيمان والأبطال في بعض المواقف وهو ثابت لا يفارق مكانه ، مقبل غير مدبر . ويقول الإمام علي رضي الله عنه : « كنا إذا حى البأس (اشتدت الحرب) واحمرت الحدق (ماتحت الأجفان بسبب الغضب) اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإ يكون أحد أقرب إلى العدو منه ! . ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً » .

وفيما يرويه أنس أن أهل المدينة فزعوا ذات ليلة لصوت مزعج سمعوه ، فانطلق ناس جهة الصوت ، وبعد قليل قابلهم النبي راجعاً بعد أن كان قد وقف لهم على حقيقة الخبر ، وكان يركب فرساً عارياً ليس على ظهره شيء ، والسيف في عنقه ، وجعل يطمئن الناس ويزيل عنهم الخوف قائلاً : « لن ترعوا ! . وكان يحسن احتمال الأذى في سبيل ربه ، فعندما جرحت إصبع له في بعض المشاهد استخف بالأمر ، وقال يخاطب إصبعه :

ما أنتِ إلا إصبع دُميت
وفي سبيل الله ما لقيت
ولقد روى عن عمران بن حصين أن النبي ما لقي كتيبة إلا كان أول من يضرب . ولقد ضرب بحربته - في غزوة أحد - أبي بن خلف عدو الله وعدو المسلمين ، فأوقعه عن فرسه ، وانكسر ضلعه ، وهلك بسبب هذه الضربة ، بينما كان هذا الاعمى يقول : أين

محمد ، لا نجوت إن نجا ! . . . وصدق ، فقد نجا محمد ، وذاق هو طعم الهلاك .

ولقد سأل رجل البراء بن عازب : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ! ثم قال : لقد رأيته على بقلته البيضاء ، وأبو سفيان أخذ بالجامها ، والنبي يقول :

« أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » وجعل الرسول يلففت بمنة ويسرة وهو يردد : « يا أنصار الله وأنصار رسول الله ، أنا عبد الله ورسوله » ، وتقدم بحريته أمام الناس ، فلم يعض وقت قليل حتى هزم الله أعداء الاسلام ، وتماسك المسلمون . وروى أنه نزل عن بقلته ، وقبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل بها وجوه المشركين وقال : « شامت الوجوه » ! .

وكان هذا النزول شجاعة وجراءة ، وكان قذف التراب رمزا وإشارة : رمزاً لاستملاء الإيمان ، وإشارة إلى هوان الكفران ، وكان قوله : شامت الوجوه ، ثقة واطمئنانا إلى النصر والفوز ! .

وأما « النجدة » فهي المساعدة مع ثقة النفس وشدة البأس ، وهي ثبات الإنسان في موطن يحتاج إلى الثبات والرابطة . وفي النجدة معنى المساعدة والإغاثة ، ولذلك تقول العرب : استنجدته فأنجذني ، أي استغثته فأغاثني ، وتقول : هو نجذ في الحاجات ، أي

خفيف فيها مسارع إلى قضائها ، وكان النجدة شجاعة خاصة ، فهي شجاعة تأتي عند الطلب وعند اللزوم ، وتؤدي حقوقا يجب أن تؤدي في حينها وعلى وجهها .

ولقد عاش محمد صلوات الله وسلامه عليه للنجدة والإغاثة والمعاونة والمساعدة : جاع ليشبع الناس ، وتعب ليسترخ الناس ، وسهر لينام الناس ، وجاهد ليطمئن الناس ، وقضى حياته كلها مجاهدا في سبيل الله والحق والمدل وكرامة الانسان . وهذه خديجة تصفه بقوله له : « إنك تحمل الكل » ، وتُكسب المدوم ، وتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

وأما « الجود » ، وهو السخاء والكرم والإعطاء بطيب نفس ، فقد كان الرسول فيه مثلاً أعلى ، لا يجارى ولا يبارى ، فاستل شيئاً أو معونة وقال : لا . وقال صفوان ابن أمية فيه : إن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة (أي فقراً) . وذات يوم قال له بلال وقد رآه يجود بالكثير : يا رسول الله ، أنفق ولا تحف من ذي العرش إقلالا . فأجاب الرسول مسروراً : « بهذا أمرت » ! .

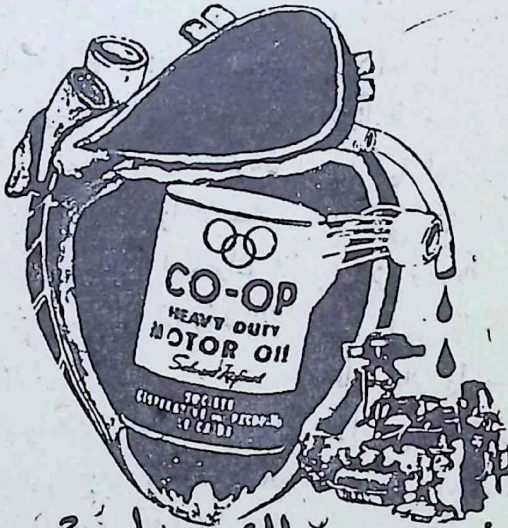
وابن عباس يقول : « كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير » ، وكلمة (الخير) تشمل كل أنواع البذل الطيب ، ولذلك يقول الكرمانى : « الجود إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ، والخير شامل لجميع أنواعه مما يقرب العبد إلى الله » .

لا يطمع حين يشجع ، بدليل أنه جواد جواد ،
 وأنه مسامح مطاء ، وهذه الشجاعة لا تبخله
 عنيفاً غصوباً ، أو ثائراً محتداً ، لأنه مثال الرضا
 والصفاء . فصلاوات الله وسلامه على خير خلقه ،
 وإمام رسله ، الذي جمع له من أصول المسكارم
 ومحامد الفعالم ومحاسن الأخلاق ما جعله رحمة
 للعالمين . والله جل جلاله المرجو أن يأخذ
 بنواصينا إلى مجال الاهتمام بهديه ، والسير
 على طريقه ، والاستضاءة بنوره . وسبحان من
 لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل .

أحمد الشرباصي

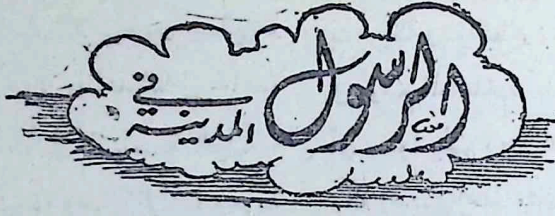
وأما « الرضا » ، فصفة تدل على صفاء
 النفس ، وطهارة القلب ، وسمو الروح ، وسماحة
 الخلق . والرضى ضد الغضب ، وكان الرسول
 لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة الله ، وهذا
 شأن الرجل القوى الإيمان الكامل الأخلاق .
 وإنني ألحظ إشارة في جمع هذه الصفات
 الأربع : الشجاعة والنجدة والجود والرضا ،
 فليست شجاعة الرسول شجاعة بغي
 أو طغيان أو طمع ، لأن عنده النجدة ، وفي
 النجدة إنسانية وأرحمة وإغاثة : فشجاعة
 محمد شجاعة نبيلة ، فيها إغاثة وإنصاف ، وهو

في خدمة مشروعاتنا الكبرى



زيوت التعاون

أنسب الزيوت ملائمة لجولادنا طموحاً إلى العام
 إدارة العلاقات العامة



تأديت اليهود

الأمور أن تسير فى طريقها فينتجع هؤلاء المطردون البلاد طلباً للرزق ، فابتلى الله يثرب بهم ورماها بشرم ا . وكان من عجائب صنع الله فى خلقه أن يتعاقب على يثرب شر خلق الله ، وخير خلق الله ؛ ولكن الله جعل من حظ المدينة المنورة أن يغلب الخير الشر ، وأن ينتصر النفع على الضرر ، فطهر المدينة من اليهود ، وحماها من مكرهم ، وأسكنها خير عباد الله أجمعين ، فكان لها عز الدهر .

ولم يكن النبي يطهر المدينة من اليهود تجنباً عليهم ، ولا عدواناً على حقهم ، ولكنهم استوجبوا ذلك بأعمالهم ، وأثاروا نائرة الشر على أنفسهم ا وليس لأمثالهم جزاء إلا الاستئصال .

لما دخل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة ، أراد أن يجرى على سنة الإسلام ،

اليهود صنف من خلق الله ، خلقوا وما خلقوا لمكرمة ، ورزقوا وما رزقوا سماح نفس ، وكان البارى سبحانه خلقهم مع بنى الإنسان ليكونوا وبالا على البرية جماء ا ا .

ولهؤلاء الأشرار صفائف مليئة بالمكر والخداع ، وتاريخ حافل بالمخازى والسيئات ؛ وكان الله سبحانه يسلط عليهم فى كل حين من يرد كيدهم ويخضد شوكتهم ، وكانت أيامهم دولا ، حتى كثروا ، وكانت لهم الرياسة فى بيت المقدس ، إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث ، وغلبتهم طبيعتهم ، فسلط الله عليهم طيطوس بن أسيانوس الرومى ، تغرب بلادهم ، وطردهم منها ا . وبقي بيت المقدس خراباً إلى خلافة عمر بن الخطاب ، فعمره المسلمون ، فكانت هذه خسفات إلى بيت المقدس أجرى الله بعضها على يد ذلك الرومى ، ثم أكلها على يد المسلمين . وكان من حق

وأن يجعل الأوطان معقلاً للأمان ، لا يرّوع فيها آمن ، ولا يفزع خائف . والناس من كل دين سواء ما داموا لا يهيجون المسلمين ، ولا يضمرون لهم سوءاً . فعاهد الناس معاهدة كانت فتحاً جديداً في السياسة الدينية ، فأقرت حرية العقيدة ، وحرية الرأي ، وحرمة الوطن ، وحرمة الحياة ، وحرمة النفس ، وحرمة المال ، وكان هذا مثالا من المعاهدات لم يسبق به الإسلام ؛ فقد كان الناس قبل الإسلام يلقون صنوفاً من الاضطهاد والظلم والفرقة في الحقوق والتفاوت بين الأفراد والطبقات ، فجاءت هذه المعاهدة وثيقة سياسية فريدة جديرة بالإعجاب والتقدير ، وخليفة أن يحملها التاريخ يتلقفها الناس جيلاً بعد جيل ، لتكون لهم المنوال الصالح المستقيم .

وقد جاء في هذه الوثيقة فقرات تقرر حقوق اليهود ، فجعلهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سواء مع جميع سكان المدينة ، لا يظلم أحدهم ولا يضام . ويطول بنا القول إذا أردنا أن نورد هذه المعاهدة جميعها ، ويكفي أن نعرف أن منها ما قرأنا ببطانة اليهود كأفئدتهم ، وأنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجعل لبطانة اليهود حرمة بعد أن ثبتت حرمة اليهود في فقرات كثيرة من هذه المعاهدة ، وتلك حكمة سياسة ورحمة شاملة من الرسول ، في ذلك العالم الذي

كانت تمبث به يد الاستبداد وتمبث فيه يد الظلم فساداً . وإذا كان بمض اليهود ، وهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع ، لم يشتركوا في توقيع المعاهدة ، فإنهم ما لبثوا بعد قليل أن وقعوا بينهم وبين النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . صحفاً مثاه . وبذلك أصبحت المدينة وما وراءها حرماً لأهلها ، عليهم أن ينضحوا عنها ويدفنوا كل عادية عليها ، وأن يتكافأوا فيما بينهم لاحترام ما قررت هذه الوثيقة من الحقوق وصور الحرية .

ولم يقف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في إحسانه إلى اليهود عند عقد المعاهدة ، بل تجاوز ذلك إلى مالا تقدر عليه إلا النفوس الطاهرة البريئة ، التي لا تريد للعالم آثاماً ، ولكنها تريد له وفاقاً ووثاماً . فقد عمد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إلى توثيق صلته باليهود ، فتحدث إلى رؤسائهم ، وتقرب إليهم كبرائهم ، وربط بينه وبينهم برابطة المودة ، وكان يعتبرهم أهل كتاب موحدين ، وهم أولى بعودته . وبأن من مجاملته لهم أنه كان يصوم يوم صومهم ، وكانت قبلته في الصلاة ما تزال إلى بيت المقدس ، قبله أنظارهم ومثابة بني إسرائيل جميعاً .

ولكن ذلك كله لم يغير من فطرة اليهود التي فطروا عليها ! فهم قوم تملأ نفوسهم الطامع ، وينبئ في صدورهم الحقد ، فرجعوا

بعد هذا كله إلى سيجيتهم الأولى ، وأخذوا يدبرون في السر ما يفسدون به أحرار المسلمين ، واستولى عليهم الفيظ من هذا الدين الجديد الذي رأوا فيه ما يصفهم ، ويطيح بسلاطنتهم . وفكروا من جديد في موقفهم من هذا الدين ورجاله : أيترون هذا الدين يعتمد سلطانه ، ويقوى برهانه ، مكتفين بالأمن الذي نالوه في جوار المسلمين ؟ لقد كان ذلك جديراً بهم ، لو أنهم على صفاء لمأهلتهم ، كما كان المسلمون أصفياء لها ، ولكن دخيلة نفوسهم تأبى عليهم أن يعترفوا بهذا الدين الجديد ، الذي يحشون منه على عامتهم ، ويحذرون أن تذيع كلمته فيهم ، على حين أن ما يعتقدون من دين ينعمهم أن يعترفوا بنبي من غير بني إسرائيل !.

ولقد كان اليهود متناقضين جد التناقض في موقفهم من الإسلام ، وكان هذا ديدنهم في كل أحوالهم ، فهم الذين كانوا يستفتحون على المشركين إذا قاتلوهم ، ويقولون : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ، الذي نجد نعمته في التوراة ، وكانوا ينتظرون بفارغ الصبر قدوم النبي إلى يثرب ، وكانوا يعتقدون أنه في مصلحتهم ، ونادي فيهم أول رجل منهم رأى النبي في يثرب بأعلى صوته : هذا جدكم قد جاء . فلما جاءهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما جاءه ، وعاهدهم تلك المعاهدة البالغة غاية السمو ،

قلبوا له ظهر الحن ، وأضربوا عداه حسداً من عند أنفسهم ! . وقد حكى ذلك عنهم الكتاب الكريم : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » .

وتكررت منهم هذه المثالب ، وتواتت المنكرات ، فهم القوم الذين دفعهم حسدهم للمسلمين إلى أن يفضلوا عليهم عبدة الأصنام ، ويعترفوا للمشركين بأنهم أقوم عقيدة من المسلمين !! وفي ذلك يقول القرآن في سورة النساء : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاعُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا » . وهم القوم الذين أخذوا يلقون ظلال الشك على عقيدة المسلمين ، ويجادلون فيها ، حتى قام بينهم وبين المسلمين حوار أشد مما كان بين قريش والمسلمين ، وفي هذا الحوار تماونت الدسيسة والنفاق والعلم بأخبار السابقين من الأنبياء والمرسلين ، فوقف اليهود في ذلك صفوفاً متراسة ، يهاجون النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ورسالته وأصحابه المهاجرين والأنصار ، ودسوا من أجبارهم من أظهر

إسلامه ، واستطاع أن يجلس بين المسلمين
يظهر التقوى ويضمر الفجور ، ثم ما لبث
الحين بعد الحين أن يبدى من الشكوك والريب ،
ويلقى من الأسئلة ما يحسبه يزعزع في أنفس
المسلمين إيمانهم برسولهم ، وبرسالة الحق
التي يدعو إليها . وقد روى أنه تواطأ اثنا عشر
من أحبار يهود خيبر ، وقال بعضهم لبعض :
ادخلوا في دين محمد أول النهار من غير اعتقاد ،
واكفروا به آخر النهار ، وقولوا : إنا نظرنا
في كتبنا ، وشاورنا علماءنا ، فوجدنا محمداً
ليس بذلك المنعوت ، وظهر لنا كذبه وبطلان
دينه . فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم !
وقد جاء ذكر ذلك في القرآن في سورة آل
عمران : « وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ
النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » .
ثم حالفوا جماعة من الأوس والخزرج الذين
أسلموا نفاقاً ، ليوقعوا بين المسلمين ، وباغ
من تعنتهم أن اليهود منهم كانوا ينكرون
ما في التوراة ، وأنهم جميعاً كانوا يسألون السيد
الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إذا
كان الله قد خلق الخلق ، فمن خلق الله ! . وكان
الرسول يجيبهم بقوله : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ،
اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

وبذلك أقام اليهود على المسلمين حرباً
باللسان دونها حرب السنان ، وظهر
من سوء نياتهم ما كانوا يضمرون للمسلمين ،
وأنهم حرب عوان على العقيدة الصحيحة
والدين المستقيم ! . فلا عجب بعد ذلك
أن فطن المسلمون لأمر خصومهم ، وعرفوا
غاية سعيهم ، ورأوا يوماً في المسجد يتحدثون
بينهم خافضى رءوسهم ، وقد لصق بعضهم
ببعض ، يملوهم خزي النفاق وذل الفدر ،
فأمر بهم الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
فأخرجوا من المسجد ، ولم يثنهم ذلك عن
دسائسهم وسعيهم في الوقيعة بين المسلمين ،
فأخذوا أنفسهم بتمزيق شمل المسلمين ،
ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . ولم يكن ليهدأ
لهم بال إلا إذا رأوا المسلمين في حرب عوان ! .

مر (شاس بن قيس) اليهودى على
الأوس والخزرج في مجلس جمعهم ، ففاظه
صلاح ذات بينهم ، وقال في نفسه : قد جمع
الإسلام بينهم وكانوا أعداء ، فألف بين قلوبهم ،
وأصبحوا بالإسلام إخواناً ، وإذا اجتمع ملائ
بني قبيلة بهذه البلاد ، فالنا معهم من قرار ! .
وأغرى فتى شاباً من اليهود أن يجلس مع
القوم ، وبذكركهم بيوم بعات (وهو يوم
كان فيه حرب بين الأوس والخزرج) ،
وما كان فيه من انتصار الأوس على الخزرج ! .
وتكلم الفتى ، وأفلح شاس بن قيس في

تدبيره بادىء الأمر ، إذ تحدث القوم بذلك اليوم وتنازعوا ، وتفاخروا واختصموا ، وقال بعضهم لبعض : إن شئتم عدنا إلى مثلها ! . وبلغ الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الأمر ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه ، فذكّرهم بما آلف الإسلام بين قلوبهم ، وجملهم إخواناً متحابين ، وما زال بهم يهدى من حذرهم ، ويخفف من شدتهم ، حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضاً ، واستغفروا الله جميعاً . وقد شهد القرآن الكريم بعنت اليهود المنيف ، ورواه في الآيات الكريمة : « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقَا كَذَبُكُمْ وَفَرِّقَا تَقَكُّونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ لَمَنَّهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَعَلِيلًا مَا يُوَفُّونَ » .

وبلغ الجدل بين اليهود والمسلمين حداً كان يصل أحياناً مع ما بينهم من عهد إلى الاعتداء بالأيدي ١١ . وحسبك دليلاً على هذا ما حدث بين أبي بكر ويهودى يدعى (فنحاص) ، وأنت تعلم ما كان عليه أبو بكر من دهائة الخلق وطول الأناة ولين الطبع ، فهو الذى

لا يستغفزه حادث إلا إذا كان جلالاً ، فإذا غضب كان غضبه شاهداً على عظم الجرم وجسامة الذنب . وقد تحدث إلى ذلك اليهودى يدعوهُ إلى الإسلام ، فرد عليه بقوله : (والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه أغنياء ، وما هو عنا بنى ، ولو كان غنياً عنا ما استقرضنا أموالاً كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويمطيناه ، ولو كان غنياً ما أعطانا) !! . يشير بذلك إلى قوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » . وقد غضب أبو بكر من هذا العدوان الصريح على العقيدة ، ورأى فيه عدواناً أكبر من العدوان على النفوس ، فلم يطق صبراً على هذا ، وضرب وجهه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذى نفسى بيده ، لولا المهد الذى بيننا وبينكم لضربت رأسك يا عدو الله ! وشكا فنحاص أمره إلى النبى ، وأنكر ما قاله لأبى بكر فى الله ، فنزل قوله تعالى : « لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فقيرٌ وَنَحْنُ أغنياءُ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَعَلَهُمُ الْآنبياءُ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » .

(الحديث موصول)

المنحرفون يعطون نصوص الإسلام

مخارجها . وإن أراد تأويلها ، فبنصوص
يعتمد عليها التأويل ، أو أمر عقلي لا يخالف
الألفاظ ولا يعاندُها .

٢ - وإن هذا الأمر الذي يمد في مرتبة
البدهيات ، التي لا تقبل جدلاً ، يقول بعض
الناس عن الشريعة الإسلامية ما يناقضه ^(١) ،
ويحارب بقوله البدهيات المعقولة ، وما تضافرت
المقول عليه . فيقول : إن الشريعة روح
وليست بنصوص ! أي أنه يتجه إلى روحها
لا إلى نصوصها ! وما روحها أي هذا الكاتب
من أين علمته ؟ أمن السماء نزل عليك ؟
أم أنه وحى يوحى إليك ؟ أمن النصوص
أخذته ، أم من الإلهام قبسته ؟ فإن كانت
الأولى ، فقد عدت إلى النصوص من حيث
أردت هجرها ، وأبت إليها من حيث أردت

(١) دأبت جريدة الأخبار ، منذ أكثر من
ثلاثة أشهر ، على مهاجمة الحقائق الإسلامية ؛ فقالت
عن الزكاة : لأنها بقية من بقايا الممجية ! ورمت
علماء الإسلام بالتضليل ! ولما انزعج الناس لهذه
المقالات ، ومنع الكاتب الذي كشف صفحته من
الكتابة في هذا ، لم ترفض الصحيفة أن تمتنع عن
الطعن في الإسلام ! فهمدت إلى كاتب آخر أقدر
فأخذ يطعن في الحقائق الإسلامية فقال : إن
الإسلام روح لا نصوص ، وإن الشريعة تنسخ نفسها ،
وإن الزكاة لا تصالح المجتمع .

١ - لو أن قاضياً قال : إني أعمل بروح
القانون ، وأتجه إلى ما أراه عدلاً ، مطرحاً
كل نص يخالف ما أراه ، ولا آبه لأي عبارة
تخالف ما أفكر فيه وما أنهي إليه .. !!
لكان قوله هذا نكراً ! ولو نفذ ما فكر فيه
لكان أمراً إذاً ! ولـ كان مـزولاً بمجرد أن
ينفذ ما ارتأى ، ولا اعتبره كل رجال القانون
مُحَمَّماً مأفوناً ! ولأخرجوه من جمعهم ، بل
لا يسمحون له أن يكون وكيلًا في الخصومات
يترافع عن المتقاضين !

ولو أن محامياً وقف يترافع ، فلا يثبت
حقوق موكله بالقانون ونصوصه ، بل يذكر
موافقة تصرفه للعدالة فيما يراه ، من غير نظر
إلى كونه يوافق القانون أولاً بواقفه ! لكان
قوله رداعليه ، وما التفت إليه أحد ، بل ينظر
في أمره : أيسوغ أن يستمر صالحاً لأن يكون
وكيلًا في الخصومات ، أم لا يصلح ؟

هذه نظرات تعتمد على البدهية وتكشف
عن فساد كل تفكير قضائي يعتمد على نظر
المفسر من غير اتجاه إلى نصوص القانون ،
لأن العدالة القانونية تستمد قوتها من القوانين
ذاتها ، وإن القضاء مقيد بما يسن له من غير
اعتداء على النصوص ، ولا تخريج لها بغير

اعتزلها ! وإن كان الإلهام فأنتا بما يدل على أن الله ألهمك إياه ، وأودعك علمه ، وخصك من لدنه بفضله ! ! مع أنك تفخر وتفخر بأنك لا تؤمن بالأديان ! ! فلماذا اتهمت بنفسك في تفسير الإسلام ، وخصصت نفسك بفضل لم يؤته أحد من العالمين !

إن روح الشريعة كروح القانون ، معنى نفسى شخصى ، تختلف باختلاف الأشخاص وباختلاف الجماعات ، فهل يوجد قانون له صفة العموم ، يترك تفسيره لأمر يختلف باختلاف الأهواء والمنازاع ذلك الاختلاف ؟ إنه لا يكون قانوناً ، بل يكون أهواء متباينة ، ومنازاع مختلفة ، ولا يصح أن يتحكم هوى فى هوى ، ومنزع فى منزع ، فكيف يكون الترجيح ؟

٣ - قد يقول ذلك القائل ، الذى يريد هدم المبادئ الإسلامية بهدم نصوص الكتاب والسنة : إن روح الإسلام هو المصلحة . فنسأله : من أين أخذت أن روح الإسلام هو المصلحة ؟ أمِنَ النصوص ، أم من أمر آخر ؟ وإذا كانت النصوص هى التى أعطتك هذا المعنى أو ألهمتك هذه الروح ، فهل تركت الشريعة الناس سدى ؟ ألم تعلم أيهذا الكاتب أن كلمة « المصلحة » من الكلمات التى تتخالف معانيها : فذو الهوى يعد هوامه مصلحة ! ومن يأكل مال الناس بالباطل يعد فعله مصلحة أو من يأخذ أجراً على قرض كرامات الناس يعد عمله مصلحة ! والملاحد

الذى يسخر قلبه لهدم الأديان يعد عمله مصلحة ! والزنديق الذى يُستأجر للعبث بالحقائق الإسلامية يعد عمله مصلحة ! ومن يشرب الخمر ، ومن يزنى ، ومن يسرق ، يعد عمله مصلحة ! !

وهكذا تتباين المصالح بتباين المنازع والشارب . فهل ترك الإسلام أمر المصلحة فوضى ، أم حد لها حدوداً ورسم رسوماً ولم يترك الأمر فوضى ؟

٤ - ولم يكن الإسلام بدعاً فى ذلك : فأبيقور عندما جمل المنفعة مقياس الأخلاق قد حدد حدود المصلحة التى جعلها ميزان الخير والشر ، وبنتمام وميل - عندما جددا ذلك المذهب الأبيقورى - رسماً حدود المصلحة التى تتخذ ميزاناً للفضيلة .

وإذا كنا نريد أن نتعرف مقياس المصلحة ، فإنه لا يكون مقياساً فلسفياً ، ولكن يكون مقياساً دينياً ، لأن الشريعة دين وقانون ودولة . وإذا اتجهنا هذا الاتجاه فإن المصلحة تكون مشتقة من النصوص الدينية ، وليست مجافية لها ، ولا بعيدة عنها ، فحينما أردنا الاعتماد عن النصوص الدينية ، وجدنا المنطق المستقيم يجذبنا إليها جذبا قوياً ، بحبال وثيقة ، لمن يريد الهداية الإسلامية ، ولا يبنى عنها حولا .

ولذلك نقول : إن الفقهاء الذين يدركون معنى الإسلام وغايته ومرامى نصوصه ، يقررون أن المصلحة المقبولة هى ما جاء بها النص ، أو كانت مشابهة لما جاء بالنص ، أو كانت من جنس المصالح التى أقرها الإسلام ، واعتبرها

الذين طبقوه ، والذين تلقوا الشرع الإسلامى
عن النبي صلى الله عليه وسلم .

هـ - هذا هو منطق المصلحة ، ولكن

الذين يريدون تطبيق روح الشريعة يهربون
من النصوص ، لأنها نور الإسلام ! ولعلمهم
لا يستطيعون أن يروا وضع الإسلام ولا نوره
المشع الشرق ، لأن أعينهم لا تنقو على ذلك !.

ولأنهم لا يمجبههم تفسير الفقهاء ،

ولا حسن تخريجهم ، حتى تخرج ما ابتدعه

مما سموه روح الإسلام ، وينقمون على الفقهاء

أنهم هم وحدهم الذين يستطيعون تفسير

الإسلام ، يأخذون عليهم أنهم لم يتركوا الأصـ

فراطاً غير مضبوط بأى ضابط مفعول !!

إنهم يريدون أن يحكموا أهواءهم ، والهوى

والدين نقيضان لا يجتمعان ! ولأنهم يريدون

أن يكون الإسلام سائراً على مقتضى مقررات

المدنية القائمة ، ويمتبرون كل ما جاءت

به مصلحة ، يجب أن يقر الإسلام بأنه هــ

أو أن يقرها ويرتضيها ديناً !! فإذا كان

قائل هذا القول أمريكياً أو أوروبياً ، وجب

على المسلمين أن يقرروا أن الشريعة

الإسلامية هــ مقررات أمريكا وفرنسا

والجملتها وغيرها من الدول التى تسير على

النظام الربوى ! وإن كان قائل هذا القول

شيوعى النزعة أو يكاد ، وجب أن تكون

المصلحة التى تقرر فى الشيوعية أو ما يقاربها

هــ الاسلام ، أو هــ ما يقره الإسلام ،

لأنها المصلحة المبتغاة ، والحكم المرتضى ،

وإنها الحقيقة التى يجب أن تفسر على ضوءها
الحقائق الإسلامية ، وما يخالفها من الأحكام
المقررة فى الإسلام يكون قولاً مهجوراً ،
ولو كان قد جاء فى القرآن الكريم بنص
قاطع لا يقبل التأويل ، لأن لكل زمان
شريعة ، وشريعة القرآن قد انتهى زمانها ،
ثم كان التطور الذى يلغى ما قرره محمد ،
وما اتبعه فيه الخلفاء الراشدون ! .

ويكتبون فى ذلك ، ولا يتركون لمن

يتعرف غايتهم من وراء أقوالهم الطريق ممتهى ،

بل يقولون فى غير موارد ، ويقررون ما يؤدى

إلى أن الشيوعية القائمة إسلامية ! . ولا ندرى

أى نوع منها قد اختاروا ؟ أى شيوعية الصين ؟

أم شيوعية روسيا ؟ أم شيوعية يوغسلافيا ؟ .

٦ - ومن الغريب أن هؤلاء الكتاب

يتخذون كل ذريعة لهدم رجال العلم الإسلامى ،

ولا يتركون باباً للنيل من كرامتهم إلا ولجوه

غير متأئين ولا متخرجين ! حتى وجدنا

بعض علماء الإسلام يسكت عن الرد على

باطلهم خشية معرة أعلامهم ، ووحدة طعناتهم ،

وحتى صار بعض المتدينين كالقايض على الجمر

بسيبهم ، ومع ذلك يدعون أن رجال

العلم الإسلامى لا يتركونهم أحراراً !

ولا ندرى أى جزء من التضييق ينالهم ؟

وهم يكتبون فى صحف سيارة توزع

بمشرات الألوف ، ولا يجد من يريد أن يبين

نظرة الدينى مكاناً ينشر فيه إلا تلك المجلات

الإسلامية المحدودة الانتشار ، التى لا يقرؤها

لا يستمتعون بها في زعمهم بأن رجال العلم الإسلامي لا يقبلون تفسيراتهم الهدامة للإسلام ولا يسوغونها ، وأنهم لا يمتدحون أنفسهم أحرارا إلا إذا أقر رجال الإسلام أقوالهم ، وخروا لها صاغرين ، وأذعنوا لها مؤمنين بها ، وإلا فإنهم ليسوا أحرارا ، وكيف يحسبون أنفسهم أحرارا ، ورجل العلم الإسلامي لا يقول لهم : آمين ، في كل بدعة ابتدعوها ، وكل خروج عن الأحكام الإسلامية خرجوه ! .

يجب على رجل الدين أن يشاركهم في لعن نفسه ، وفي التمرد على حكم القرآن ، والخضوع لحكم روسيا أو الصين أو أمريكا ، أو ماشاءوا لأنفسهم أن يكونوا !! ...

ألا إن حرية الفكر والرأي بريئة منكم وما تقولون وما تفعلون ! إن حرية الفكر والرأي أن يفكر الكاتب تفكيراً مستقياً ، غير متهجم على الحقائق ، ولا عابث بقضايا العقل وقضايا الفكر ، وأن يصرح برأيه الذي اهتدى إليه في غير موارد ، وأن يحترم رأي غيره ، وحرية تفكيره ، وحرية تقديره ، وأنتم لا تفكرون تفكيراً منطقياً سليماً ، ولا يوجد مع ذلك من يحارب آراءكم ، بل أنتم الذين تضيقون على غيركم بالسلطة التي التزمتموها ، وتعتمد الإهانات التي تلحقونها بالبرآء من رجال العلم الإسلامي ، ويمنع النشر في الصحف السيارة !! .

وإذا كنا قد نفينا بالبداهة أن رجال العلم الإسلامي قد ضيقوا عليكم ، وهم لا يملكون حولاً ولا طولاً في أن يقيدوا

إلا المؤمن الذي يريد أن يعرف حقائق دينه ، وهو من المتبعين ، وليس من المنحرفين !! ومن أراد أن يكتب في صحفهم السيارة توسل بالوسائل ، وإذا تفضلوا ونشروا بعد أن يعيا في تلمس الوسائل والوسائط ، نشروا قوله محرراً مطموساً ، بعد أن يفقد قوته ، وتذهب حرارته ! ولقد حدث أن كتب كاتب في إحدى هذه الصحف ^(١) مقالات سلسلة مقذعة ، وأعظم الفرية ، فأرسلت الردود إليها بالمشرات ، ولم تفضل تلك الصحيفة ، بنشر رد واحد منها ! . وإنا لا نطالبهم بأدب البحث والمناظرة ، ولا بأدب الصحافة ، ولا بالمدالة ، لأن هذا الفريق الذي خلع ربقة الدين خلع معها كل قيد من قيود المنطق والمدالة والتفكير المستقيم .

واسكنهم مع كل هذا يقولون إن رجال العلم الإسلامي لا يتركونهم ، ويعمنون حرية الرأي !! أي حرية رأى قد منعها هؤلاء !! إن الذين لا يملكون التمييز عن أقوالهم هم وحدهم رجال العلم الإسلامي ، لأن السيل قد طم في تلك الصحف السيارة ، واقرأ أعماء رؤساء تحرير هذه الصحف : أترى فيهم من يتسع صدره لمقال ديني إسلامي ينشره ؟ فإذا جاء إليه مقال من هذا الصنف اعتذر بأن صحيفته ليست لنشر الآراء الدينية ! ونسألهم : لماذا ينشرون الهجوم على الدين الإسلامي بقول علني ، أو بدس خفي ؟ !

٧ - ولعلمهم يفسرون حرية الرأي التي

(١) هي صحيفة الأخبار .

والعمل . . . تلك هي الكهنوتية التي نقول إن الإسلام نقاها وأبدها . فليس لأحد أن يتكلم عن الله إلا من أوحى إليه ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم وحده . ولذلك كان فقهاؤنا الأجلاء عندنا يقولون : ليس لأحد أن يأخذ بقولنا إلا إذا علم من أين أخذناه . وكان الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود يقول في الفتوى التي لا يجد فيها نصاً يفتي به : هذا رأي ، فإن يكن صواباً فمن الله (أي بتوقيفه) وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان . وكان أبو حنيفة يقول في الرأي الذي ينتهي إليه ، في أمر لا نص فيه : هذا أحسن ما وصلنا إليه ، فمن وجد خيراً منه فليتبعة . وكان الشافعي يقول لمن وجد حديثاً يخالف رأيه : إذا صح الحديث فهو مذهبي . وكان يقول رضي الله عنه : أي أرض تقلتني ، وأي سماء تظلني ، إذا وجدت حديثاً لرسول الله ولم آخذ به .

وعلى ذلك يكون نفي الكهنوتية مقلاقياً مع قصر الاجتهاد على من أوتي مؤهلاته ، وعلم أصوله ومناهجه . وإذا قلنا لهذا الكاتب وأشباهه ، الذين تمردوا المهجوم على الإسلام بكلام فج غير ناضج : إن أمثاله ممن يقولون إنه « لا كهنوت في الإسلام » يرددون كلمة حق ويريدون بها الباطل ! لأنهم يريدون ألا يكون ثمة من يختص في الاجتهاد والتخريج ، ولكنهم لا يهضمون هذه التفرقة ولا يتصورونها ، ولذلك يرمون قائلها بالتناقض ! ولهم عذرهم ، لأنهم لا يملكون من تاريخ

حرية إنسان في هذه الديار ، فإننا نفى عنكم حرية الرأي والفكر ، لا لأن أحداً ضيق عليكم ، بل لأنكم رضيتُمْ لأنفسكم أن تكونوا تابعين في التفكير لغيركم ! فهل أنتم في ذات أنفسكم إلا مرددون لما يكتبه غيركم ، بل أنتم لهم تابعون ، والتبعية قيد في الفكر ، وإغلاق في النظر ، وإهمال للعقل المستقيم ! وذهب بكم فرط اغتراركم بأقوال غيركم أن أردتم أن تسوقوا غيركم في طريق التقليد الذي سرتم فيه ، وأن تحاولوا حمل رجال العلم الإسلامي على التصديق به والإذعان له ، وإلا فالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، والظلم والقدح ، والاندفاع في الأذى . . . ٨ — ولقد قالوا : إن من اضطهاد حريتهم أن يقصر تفسير الشريعة على رجال الفقه ، ورجال العلم الإسلامي ! ويقولون إن ذلك احتسار ، وإنه لا كهنوت في الإسلام ! وقلنا لهم : إنه لا كهنوت في الإسلام ، ولا احتسار للتفسير الشرعي ، ولا قصره على طائفة معينة من الناس ! ولكنهم عادوا يقولون : تناقضتم ، وتباينتم في أجزاء القول ! ولماذا ؟ لأنكم نفيتُم الكهنوتية ، وخصصتم التفسير بمؤهلات خاصة ! ونقول لهم ما قلنا قريباً : إن نفي الكهنوتية معناه أنه ليس لأحد من الناس أن يشرع ، ويكون كلامه ذاته حجة ! أو يقول عن نفسه : إنه يتحدث عن الله ! وإنه جالس في كرسي الرسول الذي يتبعه ! وإنه يفر الخطايا ! وإن له امتيازاً في القول

الأديان إلا ما يصل إليهم من أوربا ، من غير أن يعموا بدراسة الفقه وتاريخه إلا ما كان من الأوربيين ! والتبعية هي الداء الدوى الذى يلزمهم ولا يفارقهم ، وخصوصاً أنهم لم يتلقوا ذلك العلم إلا من بطون الكتب ، والتلقى من الكتب أضعف من التلقى على الرجال ، وقد عيب على فقيه الأندلس ابن حزم أن بعض آرائه غير ناضج ، لأنه لم يتلق الفقه على الرجال .

٩ - أيها الناس ، إن رجال العلم الإسلامى لا يفلقون باب التخرىج على أحد ، ولا باب تعرف الشريعة على أحد ، ولكنهم يشترطون أن يكون المقصدى للاجتهاد حافظاً لآيات الأحكام فى القرآن على الأقل ، وأن يكون على علم كامل بالسنة ، ويستحفظ كثيراً منها ، وعلى علم بالناسخ والمنسوخ ، وأن يكون غير مبتدع ، ومخلصاً فى طلب الحقيقة الإسلامية ، صافى النفس ، متبعها إلى الله ، لا يبنى رضا أحد سواه ، وأن يكون على علم بقاوى الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عنهم ، ليعرف تطبيق الفقه الإسلامى فى عهده الأول والإسلام غض الإهاب ، لم يرتق التفكير فيه بأهل الأهواء والبدع ، كالذين ابتلينا بهم فى هذا الزمان . كذلك أن يكون عالماً بمناهج الاستدلال الفقهى واستخراج الأحكام من النصوص والحمل عليها .

هذه بعض الشروط التى يجب أن تجتمع فيمن يتصدى لتفسير الشريعة وتخرىج

أحكامها ، فهل استوفى هؤلاء بعضها أو جوهرها ، وهو العلم بالكتاب والسنة ؟ كلا ! إنهم لا يوافقون ، لأنهم لا يعرفون تفسير الشريعة إلا بالمصلحة التى ترضى أهواءهم وترضى من يريدون اتباعهم من الشيوعيين أو الأمريكان أو الإنجليز أو الفرنسيين وبذلك تنتهى معهم من حيث ابتدأنا ، وهو أنهم يريدون إجمال النصوص الإسلامية وتمطيلها ! يريدون ألا نلتفت إلى القرآن وما جاء فيه من أحكام ، وأن نضرب بها عرض الحائط ، فلا حدود ، ولا قصاص ، ولا ميراث ، ولا زكاة ، ولا شيء من ذلك ! ، ويريدون أن نهمل السنة ، وألا نلتفت إليها فى تعرف أحكام الفقه الإسلامى ! ذلك ما يريدونه ! . وإنا نقول لهم : لكم أن تتبعوا من تشاءون ، وأن تنساقوا وراء ما تهوون ، أما نحن معشر المؤمنين ، فإننا متمسكون بكتابنا لا نتركه ، بل نحفظه ، ونستهدى بهديه ، وبسنة نبينا الذى أوتى الحكمة وفصل الخطاب أما أنتم فاتبعوا من تشاءون ، وكونوا وراء من تشاءون ، وقولوا ما شئتم ، وافعلوا ما شئتم ، وتمردوا على الحقائق الإسلامية ما شئتم ، فلن يستمع إليكم أحد ، ولن يستجيب لكم مؤمن أبداً ! وامرؤوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ولن يكون معكم فى الوزر إلا أنفسكم ! وإذا كنتم تملكون كل وسائل الدعاية ، فهى دعاية لا تكبركم ، ولن تنالوا من الدين شيئاً ، فإن هذا الدين متين .

اجتهاد

سألني صديق : ما رأى الإسلام فيمن يحتكر أقوات الناس ، أو يخبي السلعة ويكتم أنها عنده ؟ . قلت : لقد حق على من يفعل هذا أن يجلد ويحبس ، لأنه جلب لإخوانه في الدين والإنسانية ضرراً جسيماً ، وكتب الشريعة وآراء المشرعين في الإسلام وغير الإسلام مجمة على هذا ، لاعة وساخطة على جميع أنواع الاحتكار ! قال صاحبي : هذا حسن ، فأرايك ورأى الإسلام أورأى العلماء ، فيمن يحتكرون لأنفسهم صفات كثيراً ما تكون ليست فيهم ، ويدعون أنهم وحدهم المحضون بها؟ .

قلت : أفصح يا أخي ، فأني لأعرف ماذا تعنى ، ولا من تقصد ، ولا إلى ماذا تشير؟ . قال : سأضرب لك الأمثال ، ولك أن تستنتج منها ما تشاء ، وتسخر ما إليه أقصد . جمعني مجلس برجل يدعى لنفسه العلم العزيز ، والاطلاع العميق ، وجاء ذكر العلم والعلماء ، فقال في عنجهية عجيبة : من فضل الله علينا أن والدي قد رزق بنا ثلاثة ، كل واحد منا نابعة قومه في فنه ! فأنا نابعة في المعرفة والدين ، وأخي الثاني فريد عصره في الهندسة ، وثالثنا فذ في فقه القانون !! وعبنا

حاولت أن أقنعه بأن كثيراً من الناس على شاكلته هو وأخواه .. فجزنى هذا النقاش إلى تفكير أوسع ، وسؤال أصرح ، واستفسار أوضح : هل هناك من يجوز له احتكار العلم ، أو احتكار الدين ، أو احتكار الإخلاص ، أو ادعاء المعرفة دون جميع الناس ؟ !! . قلت : يا صاحبي ، الآن فهمت قصدك ، وأدرت ما إليه ترمي . فاسمع وقفني الله وإياك إلى البعد عن الزلل ، واطراح الضرر . من الآفات التي مني بها مجتمعتنا الإسلامي آفة الضرر والادعاء والاحتكار ، وهي آفة سامة ، كانت سبباً مباشراً وخطيراً في انحدارنا وتأخرنا ، وفي سخرية الأجانب منا ! . فبينما نجد أشد الناس وأكثرهم تخصصاً في فنه ، يتسم بالتواضع ، ويطلب دائماً الاستزادة من المعرفة ، ويمترف بأنه لم يصل بعد إلى درجة من الكمال تؤهله لأن يكون عالماً . . . بينما نرى هذا ، إذ بنا نرى مجتمعتنا ، دينياً كان أو اجتماعياً أو اقتصادياً ، مليئاً بالمدعين ، مكتملاً بالمتطفلين ! . فكل من قرأ كتاباً ، أو تعلم بضع سنين ، أو عرف قشور فن من الفنون ، يقول : إني أنا ابن

بجدها ، وفارسها المجلى ١٠ وكل من حفظ جزءاً من النصوص الدينية ، أو اطلع على بعض الكتب الفقهية ، يقول : أنا إمام مجتهد ١٠ مع أن العالم الحقيقي ، والمصلح الدارس ، والاقتصادي المطلع ، والفقير الضليع ، . . كل أولئك لا يفكرون في أمثال هذه الصفات ، ولا يجدون في نفوسهم ميلاً إلى غرور ، أو رغبة في التحدث عن أشخاصهم ، ولكن نفوسهم امتلأت بالاقبال على البحث ، والاستزادة من المعلومات ، وكلما علموا جديداً اتهموا أنفسهم بأنهم لم يصلوا بمدى أول الشوط . . .

ولست أخشى كثيراً على ديننا ولا على مجتمعاتنا من أمثال هؤلاء ، وإن كان ضررهم لا نقاش فيه ، لأن أمرهم سرعان ما يتكشف ، وسرعان ما يعرف الناس غشهم وخداعهم ، فينصرفون عنهم ، ويطرحونهم وراءهم ظهرياً . . . ولكن الذى أخشاه وأخشى على مجتمعاتنا وديننا منه حقاً ، ظاهرة خطيرة كانت قد انتشرت منذ زمن طويل ، ثم اخفت وظفناها ذهبت إلى غير رجعة ، فإذا بها تعود إلينا في هذه الأيام ، وأعنى بها ظاهرة تكفير من يخالفنا فى رأى وإن كان مسلماً ، ومن لا يتفق معنا فى طريقة الإصلاح ، وإن كان دراساً . . . وإنى لأذكر حادثين وقعتا فى مصر ، وقام لهما الأثر وقتئذ ، واجتمع العلماء وانفضوا ، وكان للتيارات السياسية والروح الحزبية إذ ذاك تأثير كبير فى مجرى الأحداث :

ألف أحد العلماء كتاباً أسماه « الإسلام وأصول الحكم » خالف فيه بعض الآراء التى عرفت من قديم الزمان ، وشط فى رأيه بعض الشطط ، مما لا يتفق مع آراء كثير من العلماء ، فسرعان ما اجتمع الأزهر بأمر من الملك إذ ذاك ، وقررت هيئة كبار العلماء بإجماع الآراء سحب شهادة العالمية من ذلك العالم الباحث ، وحرمانه من تولى وظائف الدولة ، لأنه فى نظرهم قد كفر وخرج عن دين الإسلام . . . واتخذوا لأنفسهم صفة لا يعرفها الإسلام ولا يقرها ، وهى صفة البابوية !

كان مفتاح الجنة فى أيديهم ، ومفتاح النار بين أيديهم . . . ثم سمعنا مرة أخرى أن باحثاً آخر ألف كتاباً فى الشعر الجاهلى ، فقالوا عنه : إنه كفر ، وحكموا بإلحاده ، وأرادوا محاكته ، لولا أن انبرى رجل من رجالات مصر - رحمه الله - وكان يشغل منصب وزير المدالة ، فقدم استقالته ، وقال : لن أقبل أن يحاكم إنسان على بحث بحته ، أو رأى ارتآه ، ولو كان خاطئاً أو ارتكب شططاً . . . وكان للحزبية أيضاً ولحاكم القصر توجيه أى توجيه .

سقت هذين المثالين لأدلل للقارىء الكريم على أن هذه الظاهرة قد اخفت بمد هذين الحادثين . فلم نعد نسمع أن فلاناً كفر لأنه شط فى رأى ، أو أن فلاناً ضل وغوى لأنه ذهب مذهباً غير مذهب الآخرين ! وتقدمت

الدنيا وقطعت أشواطاً طويلاً في الأخذ بأسباب حرية الرأي والمقيدة والتفكير الجريء ، غير أن هذه النعمة المزدولة قد عادت في هذه الأيام ، فأصبحنا نسمع كما يقول صديق الذي سألتني : أن فلانا يدعى العلم وينعت غيره بالجهالة ويمتكره لنفسه ! وأن فلانا يدعى الإخلاص ويتهم سواء بأنه ضال مضل منافق ؟ وفلانا يصفى على نفسه صفات التخصص في اللاهوت أو علوم الكون ؛ ويستبيح لنفسه أن يكفر كل من يخالفه في الرأي ، أو يرفع صوته بفكرة غير فكرته ١١ .

وهذا كله نجح على الإسلام ، ولبيلة للأفكار ، ودليل على أن صاحب هذا الادعاء جاهل ليس فيه صفة من صفات العلماء . فإن العالم الحق هو الذي يزين علمه بالتواضع ، ويقرن اطلاعه بالرغبة الصادقة في الاستزادة ، جاعلاً نصب عينه الحديث الشريف : « إذا مر على يوم لم أستفد فيه علماً يقربني إلى الله ، فلا بورك لي في هذا اليوم » ، وكلما قرأ كتماً باطلب سواء ، أو فكر في فكرة ظن أن غيرها خير منها ! وقديماً قالوا : إن الضرور يكاد ينزع العلم والمعرفة من صدر صاحبهما ، ويستدلون على هذا بقصة الخضر وموسى عليهما السلام التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ، وأن عبداً من عباد الله كان أعلم من نبيه !

فقال صديقي : الآن فهمت الحكم ، وأدركت الصواب ، والآن أستطيع أن أقول لمن يدعي أمياً أن فلانا كافر ، وأن فلانا مصيره النار : إنك متعجب تفتي بما لاتعلم ، وإنك قد تكون أنت من أصحاب النار ! . والآن أستطيع أن أقول لمن يمتكر لنفسه العلم والمعرفة ، ومن يطلق على نفسه أنه المخلص المجاهد دون سواء : إنك كاذب خداع منافق ! . والآن أستطيع أن أقول لمن يرفع عقيرته بادعاء أي نوع من أنواع الفضائل : إنك مبالغ فخانيك ، وإنك مبالغ فعلى رسلك ! . قلت : قد يكون من يقول شيئاً من هذا القبيل بقصد التحدث بنعمة الله عليه ، وهؤلاء قلة تعرفهم من سياق أحاديثهم ، إذ ترى فيهم التواضع ولين الجانب والركة وغيض الصوت ، فلا ضير عليهم ولا تريب . أما الضير ، وأما اللوم ، فهو على المدعين المتعجبين ، الذين يحبون أن يحمداً بما فعلوا وما لم يفعلوا ، ويريدون أن يسخروا الناس للتسبيح بحمدهم ، والإشادة بذكورهم ، والتغنى بحمادهم ، حتى ولو كانوا على ضلال ! ! . وهؤلاء هم آفة كل مجتمع ، ومضيعة كل أمة ، وبخاصة إذا كانوا من رجال الدين ، أو المتصلين من قريب أو من بعيد بالدين أو الاجتماع ! . وجدير بكل عاقل أن يحذر هؤلاء وأمثالهم ، وأن يبتعد قدر المستطاع عنهم ، فإن ضررهم بليغ ، وخطرهم جسيم ، ومضيعة الأمة فيهم فادحة . . . وقانا الله شرورهم ، ووقفنا إلى أن نسلط طريقه المسقيماً

عائد من الحرم

(٥)

والتحليل في هذا المقام .

ولسكنا نقول إنه قد يكون من الخير تنظيم
خطب ودروس ومحاضرات في الحرمين في أثناء
الحج ، من علماء المسلمين من مختلف الأقطار
والأمصار ، فإن الحجاج يقضون الساعات
الطويلة معتكفين في مسجد الرسول أو المسجد
الحرام ، وخلال هذه الساعات يمكن استغلال
الوقت ومكبرات الصوت فيما ينفع المسلمين
ويقيدهم في دينهم ومبادئهم ، بأن يدعى علماء
المسلمين من هنا وهناك ليلقوا خطاباً
ومحاضرات على هذه الأذان الواعية التهيئية
لتقبل الوعظ والإرشاد . . . فهذا عالم من
مصر يحاضر ، وهذا عالم من المغرب يتلو ،
وهذا عالم من الباكستان يعقبه وهكذا . . .
وأعتقد أننا لو نظمنا هذا الأمر
لاستفدنا منه فوائد كبيرة وكثيرة ، فيها
خير للإسلام والمسلمين ، ولكان عاملاً قوياً
من عوامل تحقيق التفاهم والتقارب والترابط
والقآخي بين أبناء الله الواحدة والقبلة
الواحدة .

إنني أكتب خواطر متفرقة عن موسم
الحج ، وفي هذه الخواطر ما يدخل في باب
الرضى والإعجاب وفيها ما يدخل في باب النقد
والملاحظة . ونحن حين نتدارس ما في مجتمعنا
الإسلامي الأ كبر من ملاحظات أو مؤاخذات
لازید هدماً ولا ذماً ، ولا تعويقاً أو تفريقاً ،
وإنما نريد أن نعرف مما عيوبنا لنجتنبها ،
وحسناتنا لنزداد منها . ونحن جميعاً إخوة
أشقاء ، جتمعنا كلمة الإسلام العليا ، وضمنا
لواء محمد عليه الصلاة والسلام . وإن تباعدنا
في الديار والأقطار ، فإننا مجتمعون على كلمة
التوحيد وتوحيد الكلمة : « وَإِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ »
وهكذا يجب أن نكون على الدوام .

ومما بدالى في أثناء موسم الحج أن ولاية
الأُمور في أرض الحرمين لا ينظرون بعين
الارتياح أو التشجيع إلى إلقاء دروس
أو خطب أو محاضرات في الحرمين لغير
مواطنيهم ! وذلك لبعض الاعتبارات التي
لأنحب أن نعرضها على بساط البحث

ثم ننتقل إلى شجن آخر من شجون الكلام ، والحديث ذو شجون :

إن من حسنات هذا الدين الإسلامي أنه إذا أمر بشيء طوى الأمر على حكمة وثمرة ، وإذا نهى عن شيء جعل للنهي سبباً وعلّة : « يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ (أى بالنبي) وَعَزَرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَآمَنُوا بِالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

وهو لا يقول لك : اعتقد وآمن ثم فكر وابتح ، بل يقول لك : ابحث وفكر ثم آمن واعتقد . وحتى الأمور القمعية التي لا تبدو لنا حكمتها تنطوي على حكمة وهدف ، وإذا كنا لا نعرف هذه الحكمة أو هذا الهدف فلعل السبب يرجع إلى قصور الفهم أو ضيق الإدراك ، وليس عدم العلم بوجود الشيء دليلاً على أنه غير موجود ؛ فما أكثر الأشياء التي لانعلمها ، ومع ذلك هي موجودة وقائمة : « وَاللَّهُ يَمْلِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » هذا هو الحجج مثلاً ، كلما أنعم الإنسان فيه النظر تكاثرت أمامه الحكم والمبرر ، ففي أوائل شهر القعدة من كل عام يؤذن مؤذن الإيمان في المسلمين بالدعوة إلى حج بيت الله الحرام ، فيسمع السامع ويسعجيب

القادر ، ويسعى الحجاج إلى ربهم مواكب في إثر مواكب ، وجوعاً وراء جموع : منهم فريق يتجه إلى المدينة ، فيبدأ بزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ، قبل الشروع في أداء الفريضة والقيام بمناسك الحج ، ومنهم من يتجه إلى مكة إذا جاء متأخراً ، فيقوم بالفريضة ، ثم يذهب عقب الموسم إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويتوالى تجمع الجموع في رحاب مكة ورحاب المدينة ، قبيل موسم الحج ، ولكن هذه الجموع مع كثرتها وضخامتها تكون محدودة قليلة بالنسبة إلى الجمع الأعظم الذي يتكامل في موسم الحج الأكبر ، فإذا أشرق يوم عرفة رأيت الجبل الواسع الفسيح — جبل عرفات — كأنه يسط أو يتطامن من ضخامة هذه الجموع الهائلة التي تلاقت على موعد محدد ، لتمثل بضخامتها قوة الإسلام وعزة المسلمين ، ولتمثل بحسن استجابتها صدق الطاعة لله رب العالمين ، ولتمثل بملاص إحرامها إخلاص الخضوع والتواضع لله في المظهر والخبر ، وفي الحس والنفس ، ولتمثل بقجنتها ما لا يليق من القول والعمل الاعتصام بحبل الله القوى المتين ، والتأني على وسوسة الشيطان الخبيث اللعين : « الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ، فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ، وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ، وَتَزَوَّدُوا

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُونِ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ .

وفي ظلال هذه المعاني الربانية السامية
ينمقد أكبر مؤتمر ديني ودنيوي تشهده
هذه الحياة ، وكأن الله جل جلاله قد شرع
هذا المؤتمر فوق عرفة ولادة يوم واحد ،
ليكون ، كما نقول بلغة العصر ، اجتماعاً افتتاحياً
تمهيدياً ، توضع فيه الخطوط العامة للسياسة
الإسلامية ، وتستعرض فيه بسرعة الموضوعات
التي تشغل بال المسلمين ، وتحتاج إلى بحث
وعلاج ، ولذلك لا يطول أمد هذا الاجتماع
التمهيدى الضخم ، فهو نهار وجزء من ليل .
ولسكى يفتتح هذا المؤتمر ، ويؤدي
الفرض المنشود منه ، تلزم له طائفة من
الإصلاحات والتعميرات في جبل عرفات ،
فيلزم تشجير الجبل لتخف الحرارة ويطيب
الجو . ويلزم أن تبنى مظلات كافية فسيحة ،
وأن تتوافر المرافق العامة والمياه النظيفة ،
وأن تثبت مكبرات الصوت في كل ناحية ،
وأن يخطط الجبل تخطيطاً حديثاً يسهل معه
التنقل والاهتداء إلى قطاعات الحجاج
المتعددة ، وأن يكون هناك ممثلون لدول
الإسلام ، يخطبون ويتحدثون باسم بلادهم
من جهة ، وباسم الإسلام الجامع من جهة
أخرى . وفي عبارة مجملة يلزم أن يعد الجبل
إعداداً صالحاً لمقد هذا المؤتمر الضخم ،

ومهمتها لنجاح هذا الحفل الافتتاحي الأكبر
الذي تبدأ به الخطوة الجماعية الأولى في
مؤتمر المسلمين الأعظم .

وإذا كفت أدعو إلى تشجير عرفة فإن
هذا يستلزم توفير الماء بها بتفجير الآبار
والعيون فيها ، وليس هذا شيئاً جديداً على
عرفة ، فالتاريخ يحدثنا بأنها كانت في الماضي
ذات رياض وغياض ، وسقايات وحياض .
وياقوت في « معجم البلدان » يشير إلى أن
أهل مكة كانوا ينزلون يوم عرفة في مزارع
وخضر ومباطح ، كما ذكر تاريخنا أن عبد الله
ابن كرز العيشمي - الذي كان من شجيمان
الصحابية وأسود الإسلام وفاتحيه ، وكان
الإمام علي يقول فيه : « إنه قتي قریش -
قد » اتخذ بعرفات حياضاً ونحلاً .

ولقد حج أمير البيان شكيب أرسلان
عام ١٣٤٨ هـ . وكتب مذكرات عن حجه
سمها « الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج
إلى أقدس مطاف » ، وقد تحدث في هذا
الكتاب عن عرفة وتشجيرها وتوفير الماء
فيها ، ومما قاله : « الأولى أن ينظر في أمر عرفة
ومنى ، وأن تقبلاً عن حالتها الرملية
الصحراوية الحاضرة ، فينبغي أن يبادر إلى
حفر آبار ارتوازية في طول صحراء عرفة
وعرضها ، حتى تفيض من تحت الأرض
المياه إلى ما فوق الأرض ، ثم تبنى القنوات

والصهاريج ، وتفرس حفافها صفوف
الأشجار والرياحين ، فتتهدل هناك الأغصان
وتتدلى الأنفان ، وترف الظلال ، ويتسلل
الزلال ، فتخف حرارة الشمس ، ويلجأ
الحجاج في مثل هذه الأيام العصيبة إلى ظل
ظليل وهواء بليل ، فتكون درجة الحرارة
تحت فينان الدوح أدنى منها في الشمس
بخمسة عشرة درجة ، ويصير الحاج إذا تعرض
للشمس قادرا على أن يفيء إلى الظل .

وقد يجد القارئ هذا الفكر خيالا ،
ويصعب عليه أن يرى في تلك الصحراء
حياضا وجنانا ، وروحا وريحانا ، وهذا كله
خطأ في خطأ ، أو استخذاء في الهمم .
فالأوروبيون احتلوا بلدانا كثيرة من أفريقية
وآسية هي في الحرارة مثل مكة ، ومنها
ما هو أشد حرارة من مكة ، وترى هذه
البلدان الآن — بفضل العلم والفن والدأب
والثبات — غير ما كانت من قبل ، قد بدلت
فيها الأرض غير الأرض ، وقد خفت فيها
الحرارة درجات عما كانت ، بما أسالوا إليها من
مياه ، وما غرسوا من أشجار ، وما أحدثوا
من مروج خضر ، وما والأزا من غبار .

وهكذا صارت قابلة للسكنى ، وصار
كثيرون من الأوروبيين يقيظون فيها بالسهولة ،
وذلك أنهم سألوا العلم فأجابهم ، واستدروا
ضرع الفن فجاد عليهم ، واعتصموا بحبل
الثبات فأورثهم الثبات نباتا ، وتغلبوا على

الطبيعة ، وخففوا بأسها ، ونعموا حرشتها !!
ونحن باتون على ما كنا عليه في القرون
الوسطى أو قريبا من ذلك ، نجد كل تغير
بدعة ، وكل بدعة ضلالة! وننسى أن من البدع
بدعا مستحقة لأبد منها ، وأن الضلالة كل
الضلالة هي الجلود على القديم الذي لا قوة له
إلا حكم العادة ، ولا كتاب يأمر به ولا سنة!
وإن لم يبق لنا عذر من قبل الدين والعرف ،
رجعنا نلتمس لأنفسنا المآذير من عدم إجابة
الطبيعة نفسها إلى ما نريد .

وأجيب — بشأن عرفة — بأن صحراءها
رملية ، وأنها بحداء جبال عالية ، وكل من
رآها يحكم بأن في باطن أرضها مياه ، لا بل
فيها آبار قديمة مسمولة تدل على وجود المياه ،
فما علينا إلا أن نجرب عملية الآبار الارتوازية
في عدة مظان منها .

ويقول أيضا : « إن في صحراء عرفة آباراً
مغطاة احفرها آباؤنا ، وأهملناها نحن ،
فدلت على أن الأبناء قصرواعن شأو الآباء ،
وأن الأبناء إنما ارتفقوا بما عجز الحدثنان عن
طمسه من آثار الآباء ، ولستهم لم يزدوا
عليها شيئا ، بل هم لم يصلحوا ماعطاه الدهر
من حلاها . والحال أن الآخر حقيق بأن
يزيد على الأول ، وأن الذي يتسنى للخلف
بما استفادوه من عبر الدهر المتراكمة ،
واستثمروه من التجارب المتكررة ، لم يكن

منها ، وتميز كل مسلك يمتد أمام كل صف
من الصفوف ، وتوفير المياه والظلال فيها ،
وتمهيد كل الوسائل الموصلة للارتفاع بالاجتماع
عرفة الذى وصفناه بأنه الاجتماع الافتتاحي
التمهيدى الأكبر في موسم الحج الأعظم .

فهل يسارع ولاية الأمور في الأرض
القدسة لتحقيق هذا الواجب ؟ . لقد قال
الأمير شبيب منذ أكثر من ثلاثين عاماً :
« ولو كان لملكة ابن سعود دخل الحكومة
المصرية - أى ٤٢ مليون جنيه في السنة -
لأجرى من المشروعات العمرانية في الحجاز
ونجد ما لا يخطر على قلب بشر » ! .

ونحن الآن في سنة ١٣٨١ هـ ، فهل من
حقنا أن نتساءل فنقول : ألم يبلغ دخل
الملكمة السعودية بعد اثنتين وأربعين مليوناً
من الجنيهات ؟ ! .

ثم نمضى في تصورنا للحالة التي يجب
أن يكون عليها موسم الحج :

بعد هذا الاجتماع الافتتاحي ينزل
الحجيج كلهم من عرفات ليقیموا في « منى »
ثلاثة أيام أو أربعة ، وفي هذه الأيام يواصل
المؤتمر عقد جلساته العامة التي يبحث فيها
الموضوعات الأساسية التي استعرضها بصورة
إجمالية فوق الجبل ، ويتناول خطط التنفيذ

يتسنى للسلف ، فنحن ترانا بعكس القاعدة ،
نمجز في عنفوان الدنية عن مباراة ماحقه
أجدادنا في حدائقها ! . ولت شعري لو لم
تكن زبيدة امرأة هارون الرشيد جرت مياه
نهران إلى عرفات ، من يقول إن رجلا من
مسلمى اليوم - فضلا عن امرأة - تسمو
همته إلى القيام بمشروع كهذا ؟ .

ولقد قال أمير البيان هذا الكلام منذ
أكثر من ثلاثين عاماً ! ومع ذلك مازالت
عرفة بلا تشجير ولا مياه متوافرة ! ولقد
قضينا نهار عرفة ونحن محبوسون داخل
خيامنا ، لانستطيع الخروج منها إلا للضرورة ،
ولا نجرؤ على مواجهة هذه الشمس القاسية
التي تلمح الوجوه وتشوى الجلود ، والجريء
الجرىء منا من كان يعرض نفسه لمباشرة
أعمال قصيرة الأجل تتعلق بالطعام أو الشراب
أو الدواء ؛ وناهيك بصعوبة الحصول على
الماء أو على الثلج ، وليس هناك تنظيم مثمر
لهذه الجوع الضخمة ، ولا تميز واضح لكثرة
الخيام التي زحمت الجبل بشكل يقصر عنه
الطرف ويمجز أمامه العد ! ولو أن الحاج
ابعد عن خيمته لسبب ما ، لصعب عليه أن
يمود إليها ، بسبب التشابه بين الخيام
والمساكن ، وعدم اتخاذ القسيمات والعلامات
المميزة الكافية ! . وهذا ما يجعلنا نلح في
المطالبة بتشجير عرفة وتقسيمها ، ووضع
خطة منظمة لنصب الخيام ، وتميز كل مجموعة

وهذا قرار بشأن الأخوة الإسلامية الواجبة ،
وهذا قرار بشأن الاقتصاد الإسلامي ، وهذا
قرار بشأن موسم الحج وعزة الحرمين ... الخ .
وتتلى القرارات بجوار الكعبة ،
و « يصدق » عليها المسلمون ما بين شميمين
ورسميين ، وبؤ كدون العزم على الارتباط بها
والتنفيذ لها ، إذا مارجموا إلى بلادهم وعادوا
إلى ديارهم ، وهم يحملون في صدورهم تلك
الجنوة الإسلامية المقدسة التي تدفعهم دفعاً
إلى إعزاز الإسلام وخدمة المسلمين ، بعد أن
طهرهم ربهم ذلك القطهير المنقى المحص الذي
يحملهم - إذا صدقوا وأخلصوا - وكأنهم
مولودون لساعتهم ، فليس في حياتهم
إلا الطهارة والصفاء ! . . .

ولكن السؤال الذي يجب أن نسأله
هنا ، ويجب أن نجيب عليه بصراحة ، هو :
أيتحقق المسلمون فعلا هذه الأغراض المرتجاة
والأهداف المأمولة في موسم الحج ، وبعد
موسم الحج ؟ والجواب بالصوت الجهوري
والخط العريض هو : لا ! . ومن واجب
المسلمين أن يقلعوا عن تقصيرهم وتضييعهم
لموسم الحج ، حتى يقطعوا منه أطيب الثمرات
عندما يقيمونه كما أراد لهم ربهم ، وعندما
يجعلونه مؤتمرهم الأكبر ، الذي يحسنون فيه
بحث أمور الدين والدنيا المعلقة بجميع بلاد
الإسلام والمسلمين .

(الحديث موصول)

بشيء من التفصيل . ولذلك يجب أن تتوفر
في منى جميع الوسائل الصحية والاجتماعية
والمادية والمعنوية والإعلامية ، التي تساعد
على نجاح جلسات هذا المؤتمر الذي يستعرض
ويبحث ويفصل ، ويرسم الصور الحقيقية
لآلام المسلمين وآمالهم ، وأهدافهم القريبة
والبعيدة ، ثم يخرج الجمع الكبير من منى
ليتوزع جماعات جماعات ، منها الذهاب إلى مكة ،
ومنها الذهاب إلى المدينة ، وكأن كل جماعة
من هذه الجماعات تمثل لجنة فرعية من لجان
هذا المؤتمر ، فهي تعكف على دراسة ما أثير
فيه من موضوعات ، وهي تقترح الوسائل
وتفكر في الأسباب ، وتتقدم بالتوصيات
أو المقترحات أو مشروع القرارات . ولذلك
يلزم أن تشغل هذه اللجان نفسها بعد أيام
منى بمواصلة البحث في رسالة هذا المؤتمر
الإسلامي الشعبي ، بجوار ما تقوم به من شعائر
الحج والزبارة .



وبين طواف الإفاضة وطواف الوداع ،
يعود هذا المؤتمر الإسلامي إلى الانمقاد في
مكة المكرمة ، وفي رحاب الحرم الأمين ،
وعلى مشهد من الكعبة المطهرة . وفي هذه
المرّة يعلن المؤتمر نتائج بحثه ، ويصدر
القرارات المتعلقة بالشئون المختلفة التي تهّم
المسلمين هنا وهناك : فهذا قرار بشأن فلسطين
السليبية ، وهذا قرار بشأن الجزائر المناضلة ،



سبحان الله

لَلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وهذا الاتجاه
الذي توخاه إبراهيم عليه السلام وسار عليه
هو الصراط المستقيم، والدين القويم ، كما يفهم
من قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

أما أن الإسلام ملة سمحة، فذلك ما نطالمه
في كل ما اشتمل عليه من أحكام ، فإنه يُسر
كله ، وخير كله . فكتابه كما يقول الله فيه :
« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا » ، ورسوله كما يقول

بعث النبي صلى الله عليه وسلم « بالحنيفية
السمحة » ، كما يقول في حديث شريف .
والحنيفية هي الملة السليمة المستقيمة ، ملة أبي
الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، كما يفهم من
قول الله سبحانه : « ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ
اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا » ، وقوله جل
شأنه ، « قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا » ، وقوله : « وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ
أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ، وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا » . فقد قيل في تعريف الحنيف
أنه المائل عن الباطل إلى الحق ، وقد مال
إبراهيم عليه السلام عن دين قومه وأبيه ،
وقال ما يحكيه القرآن : « إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ

الله فيه : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْمُتَكِمِينَ » ، وكما يقول لقومه وللمؤمنين به : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ » .

وقد كان عليه السلام مع نفر من أصحابه ، فذكر لهم يوم القيامة ، ووصف أهوالها ، فتأثروا غاية التأثر ، ثم اجتمعوا في بيت أحدهم ، واتفقوا على أن يدعوا الصيام والقيام ، وعلى ألا يناموا على الفرش ، ولا يأكلوا اللحم والدم ، ولا يقربوا النساء والطيب ، وأن يرفضوا الدنيا ، ويلبسوا المسوح ، ويسيجوا في الأرض كما يفعل الرهبان ! ! . وبلغ النبي ما انتهى إليه أمرهم ، فدعاهم إليه ، وذكر لهم ما بلغه عنهم ، ثم قال : « إني لم أؤمر بذلك . إن لأنفسكم عليكم حقاً ، فصوموا وأفطروا ، وقوموا وناموا ، فإني أقوم وأنام ، وأفطر ، وآكل اللحم والدم ، وآتي النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . وفي ذلك وما إليه نزل قول الله جل شأنه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ » .

ومعنى ذلك - أو بعض ما يفهم من معناه -

أنه لا يجوز لمؤمن ولا مؤمنة أن يمنع نفسه أو يمنع غيره ، أو يحرم على نفسه أو على غيره ، شيئاً طيباً أحل الله له الانتفاع به والاستمتاع بما فيه ، فإن كلمة الطيبات من السمة والشمول بحيث تتناول كل ما تستطيه النفس ، وتميل إليه ، وترتاح له ، مما لم يرد بتحريمه نص صحيح صريح . ذلك لأن الأصل فيها خلق الله من أشياء ومنافع أن تكون حلالاً مباحاً ، يؤيد ذلك قوله تعالى : « وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ » وقوله جل شأنه : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » . فليس لمؤمن أن يحرم شيئاً أباحه الله وأحلّه ، لأن في ذلك اعتداء لا يحبه الله ، فيجب ألا يقع فيه كما فعل غيره من الآمنين الظالمين ، الذين عاقبهم الله على ظلمهم وإنعمهم بتحريم بعض الطيبات عليهم ، وقال فيهم : « فَيُظْلَمُونَ مِنَّا الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ » . ومن ثم كانت دائرة الحلال في الإسلام أوسع منها في أي دين آخر ! وهذا بعض ما يفسر يُسرّه وسماحته ، في الواقع من أمره ، وبالنسبة إلى غيره ، إذ هو كما يقول الله فيه : « يُرِيدُ اللَّهُ لِيُكَفِّرَ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدَ لِيُكَفِّرَ الْغُسْرَ » ، وكما يقول الله في تكاليفه : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » ، وكما يقول في بعده

واتبعوا النور الذي أنزل معه ، هؤلاء هم
الفائزون برحمة الله في الدنيا والآخرة ،
لا أولئك الذين يقول الله فيهم : « فَلَمَّا
جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَمَنَّهُ اللَّهُ
عَلَى الْكَافِرِينَ » .

ولا يتسع المقام لبيان يسر ما شرعه الله
في الإسلام ، لأن الحديث فيه لا يستوفيه
كتاب ، ولا يحصيه استيعاب . ولكننا
نذكر من مظاهر يسره على سبيل المثال :
التيمم عند فقد الماء ، أو خوف الضرر من
استعماله ، وقصر الصلاة في السفر ، وإفطار
الصائم في أيام الصيام إذا كان مريضاً أو على
سفر ، فإن له أن يؤخر الصوم إلى أيام آخر ،
وتوقف وجوب الحج على الاستطاعة والقدرة :
« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا » . وكل العبادات القلبية والبدنية
والمالية والمعاملات ، تنسم بهذا الطابع السمج ،
وتهيء الحياة الطيبة للفرد والأمة والإنسانية .
وصدق الله إذ يقول : « فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ
أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا
كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ » . نسأل الله أن
يشرح صدورنا له ، ويقفح عيوننا عليه ، فإنه
كما يقول فيه سبحانه : « يَهْدِي بِهِ اللَّهُ
مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ،
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ،
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

عن الضيق ، لأنه لا يليق برحمة الله التي
وسعت كل شيء : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » ، بل هو الرحمة التامة
والنعمة العامة ، والخير والبر والبسر ، كما
يفهم من قوله تعالى : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ
كُلَّ شَيْءٍ » ، فسأ كنُفُهَا لِلَّذِينَ يَقُولُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا
يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ
الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
الْقُرْآنِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ،
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ » .

هذا هو الطابع العام للإسلام : دين
بشرت برسوله القوراة والإنجيل ، ورسالة
تأمر بالخير والصالح ، وتنهى عن الشر
والفساد ، تبيح الطيبات وتحرم الخبائث ،
تريح الداخلين فيها من أعباء التكالييف
الشاقة التي كانت عليهم ، وتحرمهم من الأغلال
التي كانت تشد بها أيديهم وأرجلهم إلى
أعناقهم . فالذين آمنوا بالرسول النبي الأمي
الذي بث بهذا الدين ، وعظموه ونصروه ،

أمر الله بن أبي بكر

ثم خرجت يوماً آخر ، حتى انتهيت إلى موضع لم أر فيه أحداً ، فأجريت فرسي يميناً وشمالاً ، فظهر لي فارس ، فلما دنا إذا هو غلام قد أقبل من نحو اليمامة ، فلما قرب سلم ، فرددت عليه السلام وقلت : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن سعد ، فارس الشهباء ! فقلت له : خذ حذرَكَ فإنني قاتلك . فقال : الويل لك ! من أنت ؟ قلت : عمرو بن معدى كرب ، قال : الحقير الذليل ! والله ما يمنعني من قتلك إلا امتصغارك ! فتصاغرت نفسي إلى ، وعظم عندي ما استعبلني به ، وقلت له : خذ حذرَكَ ، فوالله لا ينصرف إلا أحدنا . قال : اغرب ثكلك أمك ، فإنني من أهل بيت ما نكلنا عن فارس قط ! فقلت : هو الذي تسمع . قال : اختر لنفسك ، إما أن تطردني وإما أن أطرِدَ لك ، فأغتمتها منه وقلت : أطرِدْني . فأطرد ، وحملت عليه حتى إذا قلت لاني وضعت الرمح بين كتفيه ، إذ هو قد صار حزاماً لفروسه ، ثم اتبعني فقرع بالقناة رأسي وقال : يا عمرو ، خذها إليك واحدة ، فوالله لولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك ! فتصاغرت إلى نفسي ، وكان الموت والله يا أمير المؤمنين أحب إلي مما رأيت ! فقلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فقال : اختر لنفسك ، فقلت : أطرِدْني . فأطردني ، فظننت أني قد تمكنت

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يمجبه الحديث عن الشجاعة والشجعان ، والفروسية والفرسان ، ويشتهى أن يسمع حديثهم ، فدخل عليه يوماً ، عمرو ابن معدى كرب الزبيدي ، فسأله عمر أن يحدثه ، فقال : أحدثك يا أمير المؤمنين عن أجبن من رأيت ، وأحيل من شاهدت ، وأشجع من لقيت . قال : خرجت مرة أريد الغارة ، فبينما أنا أسير ، إذا بفارس مشدود ، ورمح مركوز ، ورجل جالس كما عظم ما يكون من الرجال خلقاً ، وهو محتب بسيفه ، فقلت له : خذ حذرَكَ فإنني قاتلك ! فقال : ومن أنت ؟ قلت : عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، فشقق شهقة فمات ! فهذا أجبن من رأيت . وخرجت يوماً حتى انتهيت إلى حي ، فإذا أنا بفارس مشدود ، ورمح مركوز ، وإذا صاحبه في هذه يقضى حاجته ، فقلت : خذ حذرَكَ فإنني قاتلك ! قال : ومن أنت ؟ قلت : عمرو بن معدى كرب . قال : أبا ثور ما أنصفتني ! أنت على فرسك ، وأنا في بئر ، فأعطني عهداً ألا تقتلني حتى أركب فرسي وأخذ حذري . فأعطيته العهد ، فلما خرج احتبي بسيفه وجلس ، فقلت : ما هذا ؟ قال : ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك ، فإن نكشت عهدك ، فأنت أعلم ! فتركته ومضيت ، فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت .

منه ، واتبعته ، حتى إذا ظننت أنى وضعت
الرمح بين كتفيه ، فإذا هو قد صار لبيبا لفرسه
ثم اتبعنى ، ففرع رأسى بالقناة وقال : يا عمرو
خذها إليك اثنتين ، فتصاغرت إلى نفسى وقلت :
والله لا ينصرف إلا أحدها ، فقال : اختر
لنفسك . فقلت : أطرد لى ، فأطرد ، حتى
إذا قلت انى قد وضعت الرمح بين كتفيه ،
وثب عن فرسه ، فإذا هو على الأرض ،
فأخطأته ومضيت ، فاستوى على فرسه ،
واتبعنى ففرع بالقناة رأسى وقال : يا عمرو
خذها إليك الثالثة ، ولولا أنى أكره قتل
مثلك لقتلتك ؟ فقلت : اقتلنى ، فإن الموت
أحب إلى مما أرى ، وأن تسمع فتیان العرب
بهذا ! فقال : يا عمرو ، إنما العفوة عن ثلاث ،
ولانى إن استمكن منك الرابعة قتلتك !
ثم أخذ يدل بقوته وينشد شعرا ، فلما قال
هكذا ، كرهت الموت ، وهبته هيبة شديدة ،
وقلت إن لى إليك حاجة . قال : وما هى ؟
قلت : أكون لك صاحبا ، فقال : لست من
أصحابى ! فكان ذلك والله أشد على وأعظم
بما صنع ! فلم أزل أطلب حتى قال : ويحك !
وهل تدري أين أريد ؟ لى أريد الموت
عيانا ، فقلت : رضيت بالموت معك ، فقال :
امض بنا ، فمضينا وسرنا جميع يومنا ، حتى
جئنا الليل وذهب شطره ، فوردنا على حى
من أحياء العرب ، فقال لى : فى هذا الحى
الموت ! ثم أومأ إلى قبة فقال : فى هذه القبة
الموت الأحمر ! فأما أن تمسك على فرسى
فأنزل فأتى بحاجتى ، وإما أن تنزل فتأتينى
بحاجتى ، فقلت : بل انزل أنت ، فأنت
أعرف بموضع حاجتك ، فرمى إلى بعنان

فرسه ونزل . فرضيت يا أمير المؤمنين أن
أكون له سائسا ! ثم مضى حتى دخل القبة ،
فاستخرج منها جارية لم تر عيناى قط مثلها
حسنأ وجمالا ! فحملها على ناقة ، ثم قال :
يا عمرو ، قلت : لبيك . قال : إما أن تحمىنى
وأقود أنا ، وإما أن أحميك وتقود أنت .
فقلت : بل تحمىنى أنت واقود أنا ، وسرنا
بين يديه وهو خلفنا ، حتى أصبحنا وإذا بنا
نسمع وقع الخيل ، ونظرنا فإذا ثلاثة نفر
قد لحقوا بنا ، فيهم شيخ هو أبو الجارية ،
وأخواها غلامان شابان ، فسلبوا فرددنا
السلام . فقال الشيخ : خل عن الجارية يا ابن
أخى ، فقال : ما كنت لأخليها ، ولا لهذا
أخذتها . فقال لأصغر بنيه : اخرج إليه ،
فخرج وشد عليه الحارث ، فطعنه طعنة اندق
منها صلبه فسقط ميتا ! ثم خرج إليه الابن
الآخر فشد عليه الحارث وطعنه طعنة سقط
منها ميتا ! وتقدم الشيخ فقال : لا خير
فى الحياة مع الذل ، ولانى لست كن رأيت
يا ابن أخى ، فخل عن الظعينة ، فقال : ما كنت
لأخليها ، ولا لهذا قصدت ، وشد كل منهما
على صاحبه ، واختلعا ضربتين قاتلتين ، وقعت
ضربة الشيخ بطن الحارث فقدت معاه ،
ووقعت ضربة الحارث برأس الشيخ ، فسقطا
ميتين ! ! ثم أقبلت على الجارية أقود ناقها ،
فقال : إلى أين ، ولست لى بصاحب ؟ فقلت :
اسكتى . قالت أعطى سيف أبى ورحه ،
ونازلتنى ، فإن غلبتنى فأنا لك . قلت ما أنا
بمعطيك . فرمت بنفسها عن الناقة ، وأهوت
إلى الرمح فسكادت تنزعه منى ، وخفت إن هى
ظفرت بى أن تقتلنى ، فقتلتها . فهذا يا أمير المؤمنين
أشجع من رأيت ، فقال عمر بن الخطاب : صدقت .

من لا يعرف لا يعرف

حسان بن ثابت

وصرخ في التراب أصفاهم الباطلة ، وسفه
منهم أحلاماً تسوَّى بين الإله القادر المعبود ،
وبين أحجار لا تسوء ولا تسر ، ولا تنفع
ولا تضر !! وإنها في الحق لمفخرة لحسان .
جلس حسان في حلقة كان فيها أبو هريرة ،
فقال حسان : أنشدك الله يا أبا هريرة ، هل
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى :
أجب عني أيدك الله بروح القدس ؟ فقال
أبو هريرة : اللهم نعم .

كما روى عدى بن ثابت عن البراء
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان :
« أهجهم وهاجهم وجبريل معك » .
وقال سعيد بن السيب : مر عمر بحسان
وهو ينشد الشعر في المسجد ، فلحظه ،
فقال حسان : قد كنت أنشد فيه ، وفيه
خير منك ! قال عمر : صدقت .

وهذه عائشة عليها الرضوان تقول :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع

هو حسان بن ثابت بن المنذر ، يرتفع
نسبه إلى عمرو بن مالك بن النجار ، كما يرتفع
حسبه في فجر الإسلام إلى منزلة لا ترتقي إليها
الميون ، ولا تحلم بها الظنون ! فإنه سيد
الشمراء المؤمنين ، المؤيد بروح القدس من
لدى رب العالمين . كنيته : أبو الوليد ،
أو أبو الحسام الأنصارى الخزرجى المدنى ،
شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه .
وأمه : الفريمة بنت خنيس .

وقد عُمر طويلاً كما روى ابن سعد ،
فقد عاش على روايته ستين سنة في الجاهلية
كما عاش مثلها في الإسلام . وهو على طول
معايش في الإسلام لم يشهد مع النبي صلى الله
عليه وسلم مشهداً ، فقد كان يجبن أن يفشى ميادين
القتال ، ولكن شعره في هجاء المشركين ،
كان أفتك بهم من وقع النبال ! صنع بشعره
في هجؤهم ما لم تصنعه السيوف في حربهم ،
فزلزل من قرارة نفوسهم العقائد الزائفة ،

بحسب بني عمي ، وإن لي فيهم نسباً ، فأت أبابكر
 فإنه أعلم قریش بأنسابها ، فيخلص لك نسبي .
 قال حسان : والذي بعثك بالحق لأسئلتك
 منهم ونسبك سل الشجرة من المجين ،
 ولي مقول يفرى مالا تقر به الحربة ! ! فلما
 هجاهم ونال منهم ، قال له رسول الله عليه
 صلوات الله : « لقد شفيت واشتفيت » .
 ويروى محمد بن السائب بن بركة عن أمه
 أنها طافت مع عائشة في جماعة من النساء ،
 فوقعن في حسان ، فقالت لمن عائشة :
 (لا تسبوه ، قد أصابه ما قال الله فيه وفي أمثاله
 من أصحاب الإنك : لهم عذاب أليم ! - والله
 إنني لأرجو أن يدخله الله الجنة بكلمات قالهن
 لأبي سفيان بن الحارث :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأُجِبْتَ عَنْهُ

وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وقاه

أتهجوه ولست له بكفء

فشركا لخيركما الفداء

ومنها :

وقال الله : قد أرسلتُ عبداً

يقول الحق ليس به خفاء

وقال الله : قد أرسلتُ جُنُداً

هم الأنصار عُرِضَتْها اللقاه

لنا في كل يوم من ممد

سباب أو قتال أو هجاء

لحسان منبراً في المسجد ، يقوم عليه مناخاً
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول
 الله يقول : « إن الله يؤيد حسان بروح
 القدس ، ما نافع عن رسول الله » .

وقال جابر : لما كان يوم الأحزاب ،

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من يدجي
 أعراض المسلمين ؟ » . قال كعب بن مالك :
 أنا ، وقال بن رواحة : أنا ، وقال حسان :
 أنا .. قال رسول الله : « نعم ، اهجهم أنت ،
 وسيعينك عليهم روح القدس » .

وقال عروة : سَبَّتُ بن الفريضة - يعني

حسان - عند عائشة عليها الرضوان ،

فقالت : (يا بن أخي ، أتسمت عليك

لتكفني عنه ، فإنه كان ينافح عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم) .

كما روى الزواة عن عطاء بن أبي رباح ،

أنه قال : دخل حسان على عائشة ، بعد

ما عَمِيَ ، فوضعت له وسادة ، فدخل أخوها

عبد الرحمن ، فقال : أجلسته على وسادة ،

وقد قال ما قال ؟ - يريد مقالته نوبة الإفك

التي آذى بها عائشة - فقالت : (إنه كان يجيب

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويشقى

صدره من أعدائه ، وقد عَمِيَ ، وإنني لأرجو

ألا يعضب في الآخرة) !

وهذا لسان التاريخ يحدثنا : أنه لما قدم

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، هجته

قریش ، وهجوا ممة الأنصار ، فقال لحسان :

« اهجهم ، وإنني أخاف أن تصيبني معهم

فمن يهجو رسول الله منكم

ويعدّحه وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا

وروح القدس ليس له كفاء

وقد روى أحد ذوى القربى من
عائشة قال :

كفت عند عائشة عليها الرضوان ،

فدخل علينا حسان ، بعد ما عصى ، فقال :

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنِّ بَرِيَّةُ (١)

وتصبح غرثى من لحوم الفوافل (٢)

فقلت عائشة : لست أنت لست كذلك !

فقال لها هذا القريب : تأذنين له ، وقد قال

الله فيه فى أمثاله : « وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ

مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ؟ فقلت : وأى عذاب

أشد من الممى ؟ غفر الله له إنه كان ينافح

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منافقة

كافاه الرسول عليها بقوله فيه : « لا يحبه

إلا مؤمن ، ولا يبغضه إلا منافق » .

وأنشد حسان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يوماً قوله :

شهدت بإذن الله أن محمداً

رسول الذى فوق السموات من عل

وأن أبأبجي (٣) ويحيى كلاهما

له عمل من ربه مقبل

(١) لا تزن برية : لا تهتم فى عرضها بتهمة .

(٢) غرثى : جائعة ، والمعنى أنها لا تذكر أحداً

فى غيبته بسوء .

(٣) أبو يحيى : ذكرىا عليهم السلام .

وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم

يقول بذات الله فيهم ويعمل

وأن الذى عادى اليهود ابن مريم

نبي أتى من عند ذى المرش مرسل

وكان لحسان إلى جانب هذا الشعر المؤمن

المكافح المنافع عن دين الله ورسول الله ،

شعر غزل يسيل رقة وعذوبة ! . ومن هذا

اللون قوله :

منع النوم بالمشاء الهموم

وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه

سقم فهو داخل مكتوم

يالقى هل يقتل المرء مثلى

واهن البطش والمظالم سؤوم

شأنها المطر والفرش ويملو

ها لجين ولؤلؤ منظوم

لو يدب الحولى من ولد الذر

عليها لأندبتها الكلوم

لم تفقها شمس النهار بشيء

غير أن الشباب ليس يدوم

وقد زاد بعض الرواة على هذه الأبيات

الفزلية الرقيقة بيتاً رائعاً حكماً ، وهو قوله :

رب حلم أضاعه عدم الما

ل وجهل غطى عليه النعيم

يجزى الله حسان خير ما يجزى به صحابى

وقف حياته وعبقريته على نصرة دين الله

ورسول الله ، ويغفر الله له ما تقدم من ذنبه

وما تأخر ، ليحقل مكانته فى جنات النعيم

بين الصالحين من عباد الله .

التمايل في الأعظام الشرعية

- ٣ -

صلاته ، كما إذا جاءه خادمه وسأله وهو في الصلاة : أأحضر الغداء ؟ فأجابه بقوله : « آتَنَّا غَدَاءَنَا » ، كما أفنى بعضهم بإثم الحارس الذي يقول : لا إله إلا الله ، دون قصد الذكر ، بل بقصد تنبيه الناس إلى استيقاظه ! وكان هذا منهم تحكماً للنية ، وعملاً بها . وفيما يجري على السنة بعض الشبان المابئين إذا ما التقوا بفتاة في الطريق ما يصلح مثلاً لذلك ، من مثل قولهم : « سبحان الخلاق » ، « إن الله جميل يحب الجمال » ، إلى غير ذلك من عبارات هي في أصلها مرغوب فيها ومثاب عليها ، ولكنهم لا يقصدون بها ممانيتها وأغراضها ، بل خرجت بنياتهم من المصلحة إلى المفسدة ، ومن الخير إلى الشر ، ومن الطاعة إلى العصيان .

٣ - وقد استدل بعض الفقهاء على تحريم التمايل بقوله عليه الصلاة والسلام : « البيع والمبتاع بالخيار حتى يتفرقا ، إلا أن يكون صفقة خيار ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقيله » . قال الإمام أحمد : في هذا الحديث إبطال للحيل ، فلما كان الشارع قد أثبت الخيار للمتبايعين إلى حين الفرق الطبيعي بينهما ، حرم الرسول صلى الله عليه وسلم أن

١ - بسطنا في مقالنا السابق الأدلة الثابتة في القرآن الكريم على إبطال التمايل في الأحكام الشرعية .

وتأتى بعد ذلك السنة قاطمة في تحريم ذلك التمايل . روى عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . وهذا الحديث يفيد أن روح العمل في مقصده وفاقته ، وأن النية مناط الثواب والعقاب ، بها يكون العمل خيراً أو شراً ، ومن هنا جاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا هي القلب » ! وقد استدل الإمام البخاري بحديث الفاروق على تحريم الحيل .

٢ = ونجد في الفروع الفقهية كثيراً من تطبيقات هذا الحديث ، فقد أفنى بعض الفقهاء بأن من غرس كرمًا ليصنم منه خمرًا أثم ، ومن غرسه للأكل والمصير لم يأثم ، وإذا قرأ المصلي آية من القرآن جواباً لكلام بطلت

يقصد أحد المتعاقدين بفراقه التحايل على منع الآخر من خياره ، وإسقاط حق أخيه فيه .
 ٤ - وأخيراً نجد بعض الأحاديث في موضوع التحايل نصاً ، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تركبوا ما ارتكبت اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .
 يقول ابن عباس : بلغ عمر أن أحد المسلمين قد باع خمرًا فقال : قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها - أى أذابوها وباعوها - فقد نهى الرسول الكريم عن اتباع الحيل اليهودية في استحلال محارم الله ، وكان من حيلهم بعد أن حرم الله عليهم الشحوم أن أذابوها حتى يتغير اسمها ثم باعوها .

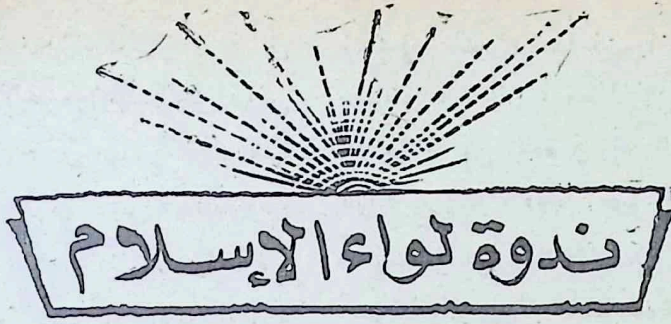
٥ - ثم يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أنزل الله بهم بلاء ، فلا يرفع حتى يرجعوا دينهم » ، وقوله : « يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » ، فقد جعل عليه الصلاة والسلام البخل بالأموال والتبائع بالعينة أى السلف ، والاستغلال بالزراعة مع ترك الجهاد في سبيل الله ، سبباً من أسباب البلاء . وإبيع العينة صور كثيرة : أظهرها أن يريد شخص الاقتراض من آخر مبلغ مائة جنيه مثلاً ، يدفعها بعد سنة مائة وعشراً ، فيأبى المقرض

ذلك حتى لا يقع في الربا صراحة ، ثم يعمدان بعد ذلك إلى تحقيق مقصودهما بوسيلة أخرى تراعى فيها الأحكام الشرعية في الظاهر ، فيبيع المقرض للمقترض سيارة بمبلغ مائة جنيه وعشرة مؤجلة إلى سنة ، وبهذا البيع امتلك المقرض هذه السيارة ، وأصبح في ذمته دين للمقرض مقداره مائة وعشرة تدفع بعد سنة ، ثم يبيع المقرض هذه السيارة المقرض بمائة يدفعها له في الحال ، وتكون النتيجة أن المقرض - تحت ستار هذين العقدين الصوريين - قد أخرج من ماله مائة جنيه في الحال ، لتدفع بعد سنة مائة وعشرة ، دون أن يتعامل بالربا صراحة . ويبلغ التحايل مداه عند البعض ، فيدخل شخصاً ثالثاً في هذا التعامل ، حتى يكون أكثر بعداً عن الربا الصريح ، فلا يبيع المقرض للمقرض السيارة مباشرة ، بل يبيعها لهذا الشخص الثالث بمائة مقبوضة ، ثم يبيعها هذا الثالث بالتالى إلى المقرض بنفس الثمن ، والنتيجة هي النتيجة في الصورتين : إقراض مائة تسترد مائة وعشرة .
 وفي هذا البيع الربوى يقول محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة : هذا البيع على قنبي مثل الجبال ، اخترعه أكلة الربا ! ويقول ابن القيم : « ولا ريب أن العينة على وجهها أسهل من هذا التكلف وأقل مفسدة ، وإذا تحيل عليها المحال صارت حيلة متضاعفة ، ومفاسد متنوعة ، والحقيقة والقصد معلومان لله والملائكة وللمتعاقدين ولمن حضرهما من الناس ، فليصنع أرباب

الحيل ما شاءوا ، وليسلكوا أى طريق
 سلكوا ، فإنهم لا يخرجون بمد ذلك عن إقراض
 مائة وأخذ مائة وخمسين بعد سنة ! فليدخلوا
 محل الربا أو يخرجوه ، فليس هو المقصود ،
 والمقصود معلوم ، والله لا يخادع ، ولا تروج
 عليه الحيلة ، ولا تلبس عليه الأمور ! ثم
 يقول : « كيف يليق بالشرعية السكاملة التى
 لعنت آكل الربا وموكله ، وبالفت فى تحريمه ،
 وأذنت صاحبه بحرب من الله ورسوله ، أن
 تبيحه بأذى الحيل مع استواء المفسدة ؟ »
 ولقد جاءت امرأة إلى السيدة عائشة وقالت
 لها : هل تمرفين زيد بن أرقم ؟ قالت : نعم .
 قالت : فإنى بعته جارية بثمانمائة درهم إلى العطاء ،
 وإنه أراد بيعها فأبعتها بستمائة درهم نقدا ،
 فأقبلت عليها السيدة عائشة غاضبي وقالت لها :
 أبلغنى زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إلا أن يقوب ، بئسما
 اشتريت وبئسما شربت ! . وإذا كان بمض
 الفقهاء قد نسب إليه القول بصحة هذا التعامل
 فى بعض صوره ، فلم يكن ذلك منهم ذهابا
 إلى إباحة التحايل على الربا ، ولا قولا بصحة
 هذا التعاقد عند ظهور نية التحايل على الربا ،
 وإنما كان ذلك منهم تحكما لظاهر العقيد عند
 خفاء النية وعدم وجود ما يدل عليها ، أو
 عندما يكون البيع الذى يجرى بين المتعاقدين
 مقصودا فى ذاته قصدا صحيحا ، كما يحدث
 أحيانا . فقد تباع لشخص سلعة بثمن مؤجل
 قدره مائة وعشرة بيما صحيحا مقصودا ، ثم
 تقمير الظروف والأحوال وتحتاج إلى سلامة

ويستغنى المشتري عنها فيبيعها لك بمائة
 مقبوضة فى الحال ، وهذا لاشيء فيه ،
 وما جاء فيه من زيادة فى رأس المال كان
 نتيجة بيع وشراء وأتجار حقيقى لاصورى .
 أما التحايل على الربا فلا يمكن أن يجيزه
 مسلم ، فضلا عن الأئمة الصادقين . فلقد بلغ
 من حرص الشريعة على سد باب التحايل
 فيه ، أن حرمت على المقرض قبول هدية
 المقرض إذا لم يكن من عادته الإهداء إليه ،
 ويقول الرسول الأمين فى ذلك : « إذا أقرض
 أحدكم قرضا فأهدى إليه أو حملة على الدابة ،
 فلا يركبها ولا يقبله ، إلا أن يكون جرى بينه
 وبينه قبل ذلك » ، ولقد جاء رجل إلى
 عبد الله بن عمر فقال : إني أقرضت رجلا
 بغير معرفة ، فأهدنى إلى هدية جزلة ، فقال :
 رد إليه هديته أو احسبها له .

٦ - ونختتم أدلة تحريم التحايل فى دين الله
 بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك :
 خطب عمر بن الخطاب على منبر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، فقال فى المحتالين على أحكام
 الله فى الزواج : « لا أوتى بمحل ولا محل
 له إلا رجتهما » ، وأقره سائر الصحابة على
 ذلك . وأفتى عثمان وعلى وابن عباس
 وابن عمر أن المرأة لا تحل لزوجها الأول
 بنكاح التحليل ، كما أفتى عمر وعثمان وعلى
 وأبى بن كعب وغيرهم من الصحابة بأن
 المطلقة بائنا فى مرض الموت فرارا من ميراثها
 يرث من زوجها ، رغم إنهاء عقد الزوجية
 بالطلاق البائن ، وكان ذلك منهم سدا لباب



مكان المرأة في المجتمع الحديث

الاستاذ أحمد حمزة :

جدت في المجتمعات المعاصرة أوضاع جديدة للمرأة فيها يتعلق بتوليها الوظائف العلمية أو الخاصة ، وبخروجها واختلاطها ومشاركتها الرجال في كثير من الميادين ، فما هي المبادئ الإسلامية التي رسمها الدين الحنيف لتحديد وضع المرأة المسلمة في المجتمع ؟ .

الدكتور عبد العزيز عامر :

لم تظفر المرأة في شريعة من الشرائع ، بما ظفرت به في ظل الدين الإسلامي الحنيف ، فهو قد رد لها كرامتها ، وأعطاهها جميع الحقوق التي أعطاهها للرجل ، ولم يفرق بينهما في شيء ، اللهم إلا في الأمور التي ترجع إلى طبيعة المرأة واختلاف الجنس ، لأن الإسلام نظم العمل في المجتمع الإسلامي ، وجعل لكل من الرجل والمرأة أن يقوم بأعمال خاصة تتفق مع طبيعته وتكوينه

في مساء الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى

١٣٨٩ هـ (١٤ أكتوبر ١٩٦١) انمقدت

ندوة لواء الإسلام بدار « مجلة لواء الاسلام »

وقد حضرها الأساتذة أحمد حمزة ،

محمد توفيق عربي ، أمين عز العرب ، سليمان

العقاد ، حسني الزمزي ، عبد الفتاح العشري ،

محمد قرطبي جنة ، محمد سابق ، عبد المنعم هلال ،

عز الدين أبو العزائم ، حامد الحارثي ، عيسى

أبو طالب ، عبد الخالق أحمد درويش ،

محمد مصطفى هويدي .

والأساتذة : محمد أبو زهرة ، الدكتور

عبد العزيز عامر ، أحمد الشرباصي ،

عبد الرحيم فودة ، محمد علي شتيا ، محمد

إبراهيم الجزيري .

وقد تناولت الندوة مكان المرأة المسلمة

في المجتمع الحديث طبقا للمبادئ الإسلامية .

لأن الشوكة والسلطان والفهر تكون بالصلاح ، وهذا يشترك فيه الرجل والمرأة على سواء . وفي التميزات ، تؤخذ المرأة بمقوبة التميز كما يؤخذ الرجل ، ولا خلاف في ذلك بسبب الجنس . كذلك في القصاص ، الرأي الراجح أن المرأة التي تقتل الرجل تقتل به ، وأن الرجل الذي يقتل المرأة يقتل بها . وفي العبادات والعقائد جعل الإسلام المرأة مثل الرجل تماماً ، لا خلاف بينهما : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً » . فالعقائد من الإيمان بالله وملائكته ورسوله وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره ، جميعها موجهة إلى المرأة ، كما هي موجهة إلى الرجل . والعبادات كقبت عليهما معاً ، فعليها الصيام ، وعليها الزكاة ، وعليها الصلاة ، وعليها الحج ، مثل ما على الرجل . وإذا كان الإسلام قد راعى جانب المرأة في بعض فروع العبادات ، فإنها في أصل التكليف مستوية مع الرجل ، لم يجعل الإسلام بينهما خلافاً بسبب الجنس في ذلك . وقد تكون هذه المراجعة بسبب تكوينها الطبيعي ، كما هو الشأن في الحيض وفي النفاس ، فلها أحكام مخففة ، ورفعت عنها بعض العبادات في أثناء ذلك لطبيعتها الخاصة . وفيما يتعلق بالحج سار الجمهور على أن عليها فرض الحج ، لكن بعض الفقهاء يقول إن الحج لا يكون إلا مع الزوج أو مع المحرم . وقد أراد الإسلام بكل

واسعته مآداه ، وباجتماع هذه الأعمال من الرجل والمرأة يقوم المجتمع السليم . ولا يمكن بحال من الأحوال أن يقال إن الإسلام حجب على المرأة وصادرها ، وجعل البيت قرارها ، فيكون بذلك قد جعل نصف الأمة أشل . لأن عمل المرأة في الإسلام يفوق في تقديره عمل الرجل . فالمرأة هي التي تكون البيت وتربي النشء ، ولا يمكن أن يكون المجتمع صلاح إلا إذا استقام النشء على أسس صحيحة من العقيدة والدين والأخلاق ، فالفرد هو اللبنة الأولى في المجتمع ، ولا يمكن أن يكون للمجتمع كيان إلا إذا صلح الفرد ، وهو لا يصلح إلا إذا كان قد تربي في بيئة تظله بالرعاية والمناية وحسن التوجيه . وهذا كله في المقام الأول واجب المرأة ، لأنها هي التي تتمهد الولد منذ ولادته إلى أن تسلمه للرجال . أقول إن الإسلام لم يبخس المرأة حقوقها ، فهو قد ساواها بالرجل في كل شيء ، حتى في العقوبات ، فجعلها يحاسب كما يحاسب الرجل : ففي الحدود تؤخذ بها كما يؤخذ الرجل ، وليس هناك خلاف بين جمهور الفقهاء في ذلك ، اللهم إلا في حد المحاربة ، فقد وقع الخلاف ، وكان خلافاً في صالح المرأة ، إذ قال قوم من الفقهاء إن المرأة لا يقام عليها حد المحاربة ، لأن المحاربة تعتمد الشوكة والغلبة والفهر ، وليس شيء من ذلك في المرأة . ولكن القول الصحيح أنها مثل الرجل ، تؤخذ بالحد كما يؤخذ الرجل ،

ذلك رعاية جانب المرأة من حيث المحافظة على عفتها وعلى كرامتها ، وعلى قرارها في البيت وحسن قيامها بأداء أموره .

وإذا انتقلنا إلى الولاية ، فأول أنواعها الولاية العامة ، أي وظيفة الإمام الأعظم . ويتفرع على هذه الولاية العامة ما يتبعها ، مثل الإمارات ومثل الوزارة وما إلى ذلك . وعند أهل السنة يشترط في تولي الإمامة العظمى وما يتبعها من الإمارات المذكورة ، فالمرأة عندهم لا تقلد الإمامة العامة وما يتبعها ، والأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن الفرس ولوا عليهم امرأة - بنت كسرى - قال : « لم يفلح قوم ، ولوا أمرهم امرأة » ! والمراعى في هذا أن الإمامة والولاية تسكّيف له خطره ، ويحتاج إلى دربة وتجربة وقوة بأس وشكّيمة وكال تدبير ، إلى غير ذلك ، وهو أمر لا يتوافر للمرأة ، كفرد ، إذ المقصود جنس المرأة ، لأن هذا لا يمنع أن يكون بعض آحاد النساء أحسن من بعض آحاد الرجال ، لكن الأحكام يؤخذ فيها بالأعم الأغلب ، ولا اعتبار للأموال الشاذة . هذا فيما يتعلق بالإمامة .

وفي القضاء : المرأة عند الجمهور ليست لها ولاية القضاء ، لأنهم يشترطون في القاضي أن يكون ذكراً . ولكن الحنفية « أبو حنيفة وأصحابه » أعطوها ولاية القضاء فيما تصح شهادتها فيه ، لأن الشهادة نوع من الولاية ، فما دامت شهادتها تقبل ، فإلّا ولاية القضاء ، وهذا فيه كلام كثير . فالذين يقولون إن

المرأة لا تولي القضاء يستندون على أن القضاء من الولاية ، والحديث يقول : « لم يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . ويرى المعارضون أن الحديث يعني أن من قلد امرأة القضاء يأثم ، ولكن المرأة إذا وليت القضاء فعلاً فحكمت بالشريعة ، تكون أحكامها صحيحة ومنفذة . ومن المهم جداً أن أقول إن تولي المرأة الوظائف العامة يخالف تعاليم الدين الإسلامي ، لأنّها لا يمكن أن تتولى هذه الوظائف إلا إذا اختلطت بالرجال ، والاختلاط ممنوع بنص القرآن والسنة ، فضلاً عن ذلك فإن المرأة بخروجها للوظائف العامة تترك بيتها ، فهي تهدم هذا البيت ، وتهدم بيت من سيتزوجها . وأما إذا كانت متزوجة ، فهي تترك الأولاد إلى الشارع ، أو إلى الحبس في البيت ، أو إلى الخدم ، وهذه كلها أمور لا يمكن أن يقوم عليها مجتمع سليم ! وزيادة عليه ، فإن الثابت الذي لا جدال فيه أن البطالة منتشرة في جميع البلاد ، وهي منتشرة على وجه أخص في الرجال . والدول التي تعمل فيها النساء في كثير من الأحيان تفضل النساء على الرجال لأغراض شتى ، ويترتب على هذا أن الرجل لا يجد العمل ، فلا يستطيع أن يتزوج ولا يستطيع أن يفتح بيتاً ، والمرأة تظل عانساً . وقد دعت هذه الحالة ديوان الموظفين في الأيام الأخيرة إلى أن يقول بناء على تقارير وصلته : إن إسناد الوظائف العامة إلى المرأة قد ترتب عليه الإضرار بالمصلحة العامة ،

لأن المرأة إنتاجها قليل، وهي أحياناً تتخلف عن العمل في فترات الحمل والولادة وما يعقبها وما إلى ذلك، وترتب على هذا أن كثيراً من المصالح لم تقبل النساء للعمل بها ! . والذي أحب أن أقوله، وهو حق، أن عمل المرأة في البيت، وأن عملها خارج البيت هدم لأنوثتها، وهدم لكرامتها، وهدم للبيت، وهدم للمجتمع، ولا يقوم مجتمع على هذا الوضع، إذ يترتب عليه أن الرجل لا يقوم بعمله كما يجب، وأن المرأة لا تقوم بعملها كما يجب، والنتيجة هي التحلل في المجتمع ! . وهذا هو القرآن الكريم يقول في الاختلاط : « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته حين استأذن عبد الله بن أم مكتوم في الدخول : « احتجبا » ، لعائشة وأم سلمة على ما أذكر، فقالت إحداهما ولعلها أم سلمة : « إنه لا يرانا يا رسول الله » فقال : « أفعميا وان أنما؟ ألسما تبصرانه؟ » ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام لأمهات المؤمنين ! . والنصوص مقتضاة في الكتاب والسنة على أن الإسلام نظام يفصل بين الجنسين، ويجعل لكل جنس عمله، ووضعه في الحياة .

ولم يقل أحد مطلقاً إن هذا النظام ترتب عليه فساد المجتمع، بل إن العكس هو الصحيح، لأن المجتمع الإسلامي حينما كان محافظاً على مبادئ الإسلام، وكان يجعل المرأة في البيت والرجل خارج البيت، قامت على أساسه دول

إسلامية قوية، وانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها . أما الآن وقد صرنا إلى ما نحن فيه، فإن ظل الإسلام يوشك أن يتقلص من الأرض، وليس ذلك إلا لأننا نبذنا الدين . والنبي صلى الله عليه وسلم قال ما معناه : « تركت فيكم ما لو تمسكتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنتي، عضوا عليهما بالنواجذ » . لكن ليس معنى هذا أن المرأة ممنوعة من العمل مطلقاً، فالدين الإسلامي يقدر أن الضرورة تبيح المحظور، فإذا كانت هناك ضرورة لعمل المرأة فهي تعمل، لا على أنه مبدأ، بل على أنه استثناء محض . وإنما يمنع الإسلام المرأة من العمل، لأنه جعل نفقتها على غيرها من ولادتها لموتها، فنفقتها على أبيها أو قريبها قبل الزواج، وبعد الزواج تكون على زوجها، والزواج يحبس بهذه النفقة، ولا يسقطها عنه شيء، وإذا طلقت تعود نفقتها إلى القريب، وتظل كذلك مصونة مرعية الكرامة حتى تموت . وكذلك جعل لها الإسلام حق الإرث، فجعل لها النصف في الميراث، لأنه ليس عليها النفقة، ولأن قرارها في البيت . وليس من شك في أن المجتمع الإسلامي إذا أخذ بهذا النظام متكاملًا صلت أحوال الناس ولكن الأخذ ببعضه وترك بعضه فيه مسخ وضياح .

الأستاذ عبد الرحيم قودة :

كل ما تطمح إليه امرأة، وكل ما يطمح إليه رجل - إذا كان كل منهما يستجيب لفطرته

السليمة - ينطوى في مضمون قوله تعالى :
« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » ، فإن قوله تعالى « لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا » وما ينطوى عليه من معنى السكينة والطمأنينة والحياة الطيبة ، يدخل في هذا المفهوم. وهذه هي وظيفة المرأة الأساسية : أن تكون ملجأ للرجل ، يجد في ظله الأمن والطمأنينة والسكينة . والمرأة من الرجل والرجل من المرأة : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ... » ولكن حلة الأفلام في هذا البلد اندفعوا في الصحف يشعرون ببحرية المرأة ، وهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون كانوا يخدمون خططا استثمارية ، وينقلون إلينا بذورا لا تصلح في بيئتنا ، فادعوا ظلم الرجل للمرأة ، وشنعوا على الإسلام نفسه ، لأنه في تقديرهم أوفى تقدير أوروباً ضيق على المرأة الخناق ، ووضعها في غير موضعها الطبيعي ، واندفعوا بفرون المرأة بالخروج على طبيعتها ووظيفتها الأصلية في الحياة ، ويهيجون حماسها بشتى المثيرات ، حتى أوجدوا خصومة بين الرجل والمرأة ، أو بين الجنسين كما يقال ، مع أنه لا خصومة ولا ما يبرر الخصومة ! لأن أساس خلق المرأة أن تكون سكناً للرجل ، وأن يجد في ظلها المودة والرحمة والأمن والسكينة ، وهكذا ظل هؤلاء يقدمون في غباوة أو خبث مادة للتشهير بالإسلام !

إن القرآن مبسوط أمامنا ، وتاريخ المرأة معروف للعالم ، فقد كانت في ظل المسيحية في عهود الرومان تمقر من عمل الشيطان ، وكان العرب قبل الإسلام يبدونها ويدفنونها حية ، فلما جاء الإسلام وضعها الوضع الطبيعي ، وخلق منها ومن أبنائها خير أمة أخرجت للناس . فإذا سرى الجدل حول وضع المرأة في المجتمع في هذا العصر ، فيجب أن يبحث هذا الوضع في ضوء المشا كل التي نعانيناها ، وفي ضوء التعاليم الإسلامية التي تؤمن بها ودين لها . فإذا اقتضت الحاجة أن تعمل المرأة فلتعمل ، والإسلام إيمان وعمل ، ولكن عملها هو الذي يليق بفطرتها ويحقق لها الحياة الطيبة . أما أن تسند إليها مناصب لا تحسنها ، أو ليس المجتمع في حاجة إليها ، أو يفتى الرجل فيها عن المرأة ، فهذا وضع شاذ يجب أن يعالج . فمن الواجب أن تتطهر البلاد من هذه الجرائم ، وأن يؤخذ بالشدة هؤلاء الذين شوهدوا ينفقون أعيانهم لا يفهمونه .

الاستاذ أحمد الشرباصي :

المرأة المسلمة في المجتمع المعاصر تضع بين دعاة الإفراط ودعاة التفريط : فهناك قوم يجبرون على المرأة حجراً كلياً ، ويعنفونها أن تكشف وجهها ، أو ترفع صوتها ، أو تخرج من بيتها ، لأن كل شيء فيها ومنها هو عندهم عورة ، يجب أن تقاوم وأن تستر . وهؤلاء هم دعاة الإفراط ، وهناك بجوارهم دعاة التفريط ، يدعون المرأة إلى الخروج بلا قيد

ولا شرط ، متبرجة سافرة ، متقلدة ماشاءت من أعمال ! . وأعتقد أن المرأة المسلمة في هذا المجتمع تحتاج إلى موقف آخر وسط بين دعاة الإفراط ودعاة التفريط ، لكي تثبت شخصيتها وتأخذ حقها وحريتها ، وفي الوقت نفسه تصون فضيلتها وعفتها ، ولا تخرج عن هدى ربها وسنة نبيها . وهذا الوضع يحتاج أولا وقبل كل شيء إلى أن تكون المرأة في المجتمع إنسانة قبل أن تكون أنثى .

أقول : إن موقف المرأة يعقل عندما تعتبر نفسها في هذا المجتمع إنسانة لا أنثى ، لأن المشاهد في أكثر النساء في المجتمعات الماصرة المتحررة المتحللة ، أن المرأة تعتمد على أنوثتها أكثر من اعتمادها على أي شيء آخر في شخصيتها . ولذلك تحاول ، كلما خرجت أو اختلطت أو بدت ، أن تجلي هذه الناحية الأنثوية بمختلف الوسائل ، سواء أكان ذلك ثوبا أم زينة أم حركة أم مشية أم إثارة لأي عاطفة تقصل بهذه الناحية ! . لكن لو أن المرأة في المجتمع الماصر أشمرت بقية أعضاء المجتمع بأنها إنسانة ، وأن أنوثتها لا تبدو ولا تظهر إلا في مجالها الطبيعي الشرعي الذي يهيأ لها فيه إبداء هذه الأنوثة ، لأرغمت من في المجتمع على احترامها ، وعلى عدم إثارة ما يعوق الطريق أمامها . وفي المجتمع بطبيعة الحال قلة قليلة من النساء كسبن احترام الرجال قبل احترام النساء ، بشخصياتهن التي تجلت فيها الناحية الإنسانية أو العالمية أو

الخلقية ، أكثر مما تجلت فيها ناحية الأنوثة . إن الإسلام عندما جاء ليعالج قضية المرأة من ناحية أنوثتها ، ومن ناحية اختلاطها وعلاقتها بالرجل ، وخروجها إلى العمل ، وضع عدة قواعد تحقق هذا الوضع الكريم الذي يحمل الرجل مع المرأة أخوين أو شقيقين يقاومان على الحياة ، دون أن يتسبب أحدهما في متاعب للآخر . فقد أمر الإسلام بغض البصر من الرجل والمرأة : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » . « وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ » . ثم أمر بمد غض البصر بحفظ الفروج : « وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ » ، « وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » . كما أمر بمد هذا بعدم الدخول دون استئذان ، ونهى عن التعرض للخلوة المفردة بين رجل وامرأة ، وهي الاجتماع الذي يهيأ للرجل والمرأة بحيث يعدان في خلوة يستطيعان فيها أن يرضيا زعتهما الجنسية ، دون أن يتابع حركاتهما أو موقفهما من رفاقهما ، وهما يسمى عند الفقهاء بالخلوة الشرعية ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون رجل بامرأة » ، وفي الحديث الثاني : « لا يخلون رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » .

بعد هذا وضع الإسلام قاعدة اصطحاب المحرم مع المرأة في المواطن التي تتعرض فيها المرأة للفتنة أو الشبهة أو الابتلاء ، كالسفر ورؤية الخطيب لها عند خطبتها ، وعند ذهابها مثلا إلى الطبيب ، وإني متفق مع هدى

أن تكون ثيابها ساترة لما علا من جسمها
ولما سفل منه .

بعد هذا نجد أن جمهور الفقهاء يكادون
يجمعون على أن المرأة يجوز لها أن تكشف
وجهها ويديها ، وهناك خلاف مع بعض
الفقهاء في القدمين أو باطن القدمين .
كذلك قالوا إن للمرأة أن تخرج من بيتها
إذا دعت الحاجة إلى خروجها ، سواء أكانت
هذه الحاجة معاشية أم صحية أم قضائية
أم غير ذلك من الشئون ، وإن لها أن
تزاوّل من العمل ما تحتاج إليه وتضطر
إلى احترافه ، بشرط ألا يكون هذا العمل
منافياً لصيانة عفتها وفضيلتها وكرامتها .
فليس في الإسلام حجر على أن تعمل المرأة
أو تحترف وظيفة تناسبها ، بشرط ألا يؤدي
ذلك إلى اختلال القضايل التي أمر بها الإسلام
لكي يضمن حسن الملاقة واستتباب العفة
بين الرجال والنساء ، كما أشرنا إلى ذلك .

ونص الفقهاء — استقصاداً من هدى
الكتاب والسنة — على أن المرأة مباح لها أن
تذهب إلى المسجد ، وأن تحضر صلاة الجماعة ،
وأن تحضر صلاة الأعياد ، ويجوز لها أن
تبدى رأيها فيما يعن لها ، وحادثة عمر رضي
الله عنه مع المرأة التي عارضته في المسجد
أشهر من أن نذكرها . كذلك أباح لها
الإسلام أن تعلم كما يتعلم الرجال ما تقتضيه
طبيعتها ورسالتها في الحياة . والتعلم هنا
يستلزم بطبيعة الحال أن تخرج المرأة إلى معهد

الإسلام في أنه لا يباح للطبيب على طول الخط أن
يكشف على المرأة مفرداً ، وأن يكشف عن سائر
أعضائها ، بل لا بد أن يكون معها محرم من
محارمها ، أو جمع من نسوة يؤمن بحضورهن .

بعد هذا منع الإسلام إبداء الزينة من
المرأة ، وهو ما أشرنا إليه من أن المرأة تعتمد عليه
إشماراً لجانب أنها أنثى قبل أن تكون
إنسانة : « وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِمُؤَلَّتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ » إلى آخر ما استثنى القرآن من
رجال يعدون محارم المرأة ، فلا بأس إذا أبدت
زينة لها هؤلاء . وبعد هذا وضع الإسلام قواعد
شكلية ، تثبت هذه القواعد الأصلية ، من
غض البصر وحفظ الفروج وعدم إبداء الزينة
وعدم الخلوة ، ففيما يتعلق بالمظهر أمر المرأة
بأن تضرب على جيبها وشق ثوبها الأعلى
في صدرها : « وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُجُورِهِنَّ عَلَى
جُيُوبِهِنَّ » . وأمر أيضاً بإرخاء الجلايب :
« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلزَّوْجِكِ وَبَنَاتِكَ
وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلَابِيبِهِنَّ » . ويحيل إلى والله أعلم أن
الإشارة بإرخاء الخمر على الجيوب رمز إلى
ستر النصف الأعلى من المرأة ، والجزء الذي
يتمرض في هذا النصف للظهور عادة هو صدرها ،
بحكم أنه الجزء البارز منها ، فأمر القرآن
نص على أن يستر هذا الجيب بالخمار ، ويتبعه
ما يكون أشد إنارة أو فتنة من جسمها ، وإرخاء
الجلايب يشير إلى ستر النصف الأدنى
من جسمها ، فكان المرأة مأمورة بالقرآن

نسائي أو مدرسة نسائية . لكن ليس معنى هذا أن نبيح للمرأة الحرية ، وأن نبيح لها أن تحترف من الأعمال ما تحتاج إليه ، دون أن يكون معها الوقاية التي تصممها من الزلل والخلل إذا ما خرجت من بيتها ، فلا يصح أن نأذن باسم الإسلام في الخروج لامرأة لم تنشأ نشأة دينية ، ولم يكن عندها وقاية أو حصانة لنفسها .^١ ويتمثل بعض المعاصرين بقصة سلمة بن قيس عندما ذهب ليتغدى مع عمر بن الخطاب ، فنادى عمر على زوجته أم كلثوم ، وهي بنت علي بن أبي طالب ، وقال لها : لم لانا كلين ممنا ؟ فقالت له : لو كنت كسوتي كما كسا الزبير وفلان وفلان نساءم لخرجت ولقيت الرجال ! . هذه القصة لا يصح للمعاصرين المعروفين بنزعاتهم التحليلية أن يتخذوها شاهداً على ما يريدون ، وإذا صحت فإن الأشخاص فيها بمنأى عن الشبهة والريبة ، فهم قوم قد تربوا رجالاً ونساءً في مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام خير تربية ، فلا يصح أن نقيس هؤلاء الأعلام آخرين لم ينالوا تربية أو ثقافة أو حصانة دينية . ولكي أؤيد هذا المعنى أذكر قصة الزبير بن العوام مع زوجته عائكة بنت زيد ابن عمرو بن قيس ، وكانت امرأة جميلة ، وكان الزبير يفار عليها ، وكانت تحرص على أن تصلي في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأراد الزبير بحكم الفيرة أن يمنعهما

من الصلاة ، فقالت له : كيف تمنعني وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إماء الله بيوت الله » ؟ فاضطر أن يأذن لها في الخروج إلى الصلاة ، ولكنه ترصد لها ذات صباح وهي سائرة في الطريق ، فلما مرت أمامه وقد اختبأ ، جاء فلمس جزءاً من ظهرها بيده ، فما كان منها إلا أن استغفرت واستعاذت واسترجعت ، ثم عادت من الطريق إلى البيت ، ولم تذهب إلى المسجد ، وانتظر الزبير يوماً ويومين فوجدها لا تخرج ، فقال لها : لم لا تخرجين إلى الصلاة في المسجد كما كنت تخرجين يا عاتكة ؟ فقالت له : لقد فسد الناس ! انتهى إذن تعرف المقياس والميعار الذي تقيس به المرأة وضعها ، فإذا وجدت أن المجتمع الذي حولها سيصون كرامتها وعفتها ، فإنها تستطيع أن تخرج لتزاول ما تحتاج إليه من عمل ، ولن تؤدي ما تريد أداءه من شعائر . أما اليوم فإن المجتمع ينظر إليها نظرة الذئب إلى الشاة ، فمن الواجب عليها أن تحقظ أكثر من اللازم ، وأن تتق الشبهات ، وأن تتباعد عن مكان الحى الذي يوشك من قاربه أن يقع فيه كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام .

فبعد هذا أعتقد أننا في زمننا هذا قد وصلنا إلى عصر يصدق عليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « إنه ستكون هناك

نساء عاريات ، كاسيات ، مائلات ، مميلات » إلى آخر الحديث ، فنحن لا نريد أن نبخس المرأة حقها كامرأة ، ولا أن نمنعها حقاً من حقوقها ، بل نريد أن تمارس كل حقوقها ، وأن تتمتع بكامل شخصيتها ، ولكن بعد أن تكسب ويكسب الرجل معها مستوى خلقها ودينياً ، وسمواً اجتماعياً ، يجعل كلامهما ينظر إلى الآخر نظر الشقيق إلى الشقيق .

الاستاذ محمد أبو زهرة

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » ، فالقرآن يأمرنا أن نحكم النبي في حياته بالاتجاه إلى شخصه وتحكيمه ، وبعد وفاته يأمرنا أن نلتجىء إلى القرآن الذى أنزل عليه وإلى السنة التى أثرت عنه ، فقد قال النبي : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا من بعدى أبداً : كتاب الله وسنتي » ، ويقول في حديث آخر : « تركتكم على المحجة البيضاء التى ليلها كنهارها » . فنحن مطالبون بأن نحكم القرآن وبأن نحكم الرسول ، وألا نجد حرجاً في تحكيمه ، وأن نسلم تسليماً كاملاً ونذعن لقضائه إذعانا تاماً . هذه هى نصوص القرآن الصريحة ، فهل خسرنا عندما تركنا حكم الشريعة ؟

كنت أريد أن أطيل فى هذا الموضوع ،

ولكن حضرات الأفاضل الذين تكلموا قبلى تناولوا كثيراً مما كنت أنوى القول فيه . إن القوانين الحاضرة ، سواء كانت عقوبات زاجرة ، أم كانت تنظيماً مدنياً ، يقرر الذين يضمنونها أنها تؤخذ من الأوضاع القائمة بين الناس ، فهى تجعل هذه الأوضاع قانوناً ، بحيث إذا كانت الأوضاع توجب إطاعة ملك طاعة عمياء كانت ذات ذلك الملك مقدسة فوق الجميع . وقد روى عن مسلم تقي أنه استضاف امرأة انجليزية في منزله ، فراعها من حكم النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « الجنة تحت أقدام الأمهات » اراعها معنى هذا الحديث ، فكتبت كتاباً بهذا العنوان : « قال محمد : الجنة تحت أقدام الأمهات » ، وقد راج ذلك الكتاب رواجاً كبيراً في أوروبا ، وفهموا منه أو فهم النصفون منهم أن محمداً كان يضع المرأة في مكانها ، ويعتبرها أكبر أثراً في الوجود من الرجل . لماذا ؟ لماذا كان هذا القول دليلاً على ذلك ؟ لأن فيه تكريماً للمرأة أولاً ، كما أن فيه تكريماً لها في معناها الذى وجدت لأجله ، وهو أن تكون حاملاً لهذه الوديمة الغالية في الوجود ، وهى الإنسانية . فالمرأة كريمة وعزيرة ، بكونها أمّاً ، لا بكونها تسير في الطرقات ! وهذا الحديث يصور لنا تصوراً واضحاً أن المرأة مكرمة لأنها أم : ويصور لنا في الوقت نفسه وظيفتها الاجتماعية في هذا الوجود . ولتسكلم في الصورتين :

أما تكريم الإسلام لها ، فقد كانت المرأة عند الرومان وعند اليونان وعند الفرس وعند العرب مقاعاً في البيت أو كالمناجاة ، فجاء الإسلام وأعطاهما حق الإنسان كاملاً ، وأول مظهر لحقوق الإنسان أنه جعل لها الولاية على نفسها . نعم قد قال بعض الفقهاء إنها ليس لها أن تتزوج إلا برضا وليها ، ولكنه في الوقت نفسه منع الولي من أن يتحكم فيها ، فهي لا تتزوج إلا برضاها ، وإن كان جمهور الفقهاء قالوا : لا بد من أن يشترك وليها في رأيها . ويروى في ذلك أن فتاة ذهبت إلى عائشة تقول لها : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع خسيسته ، وأنا لا أرضى . فقالت : انتظري حتى يحجى النبي . قالت عائشة : فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « الأيم أحق بنفسها من وليها » ، فقالت الفتاة الجريئة القوية : يا رسول الله ، لقد أمضيت ما فعل أبي ، ولكنني قلت ما قلت ليعلم النساء أن ليس للرجال في هذا أمر !! .

إن المرأة كانت قبل الإسلام أمة في بيت أبيها ، فإذا انتقلت إلى بيت الزوجية كانت أمة في بيت الزوجية ، ولم تكن لها أي حقوق قبل الزواج ولا بعده ، بل إن الرومان كانوا إذا قتلوا نساءهم لا يؤاخذون ! فلما جاء الإسلام قال في الحياة الزوجية : « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » .

وكذلك في الولاية المالية ، لم تكن المرأة إلى عهد قريب ، فتاة أو زوجة ، تتمتع بحقوقها المالية ولا بولايتها على أموالها ، ولا يزال هذا الحال قائماً بالنسبة للمرأة المتزوجة ، في التشريعات غير الإسلامية ، جاء الإسلام وجعل للمرأة الولاية الكاملة على أموالها ، ليس لأحد عليها حق ولا سبيل . نعم إن بعض الأوروبيين ، أو كثيراً منهم ، غيروا هذا المبدأ ، ولكنه تغيير خفيف لم يعطها الولاية الكاملة إلى الآن ، وأقصى ما أعطاهما أنه جعل لها الحق في التصرف في مالها ، وأبقى لزوجها الحق أيضاً في التصرف في مالها ، بينما الإسلام يقول إنها وحدها التي لها الحق ، وليس لزوجها ولا لأبيها ولا لأبيها ، مادامت بالغة عاقلة رشيدة ، أن يتصرف في مالها . فإلى الآن لم تصل الشرائع الأوروبية إلى ما أعطاه الإسلام للمرأة من حقوق بالنسبة للولاية . وتمجني كلمة قالها اليلة الأستاذ أحمد الشرباصي ، وهي أن المرأة في العصر الحاضر لا تعنى بكونها إنساناً ، وإنما تعنى بكونها أنثى ، في زينتها وفي لبسها وفي محاولة إغرائها للرجال ، إلى آخر ما زرى في الطرقات !! وهي بهذا تنزل إلى أن تكون لعبة في هذا الوجود ، لا أن تكون إنساناً مسؤولاً عليه تبعات . وفي الوقت الذي نرى فيه المرأة على هذا النحو ، نجد الكتاب الماجنين - وليسوا عدداً قليلاً - يشجعون هذا النوع ، ويتحجبون

والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»، فالوظيفة الحقيقية تقتضى أن تكون المرأة في داخل المنزل لا تخرج عنه ، وأن يكون الرجل في الحياة يكدح ، فإذا أوى إلى المنزل فهو كالسافر الذى يقطع الفيافي والقفار ، ثم يجد واحدة أو جنة فى وسط صحراء الحياة فيأوى إليها . هذه هي الوظيفة الأصلية للمرأة إلى جوار الرجل ، فإذا هي خرجت عنها طائفة من غير اضطراب فسدت المجتمع ، لأنها إذ تخرج لتعمل كالرجل تماماً ، فإنها تقطع السبيل على رجال كادحين يريدون أن يكونوا أسرا ، وأن ينشئوا تلك الواحات التى تهيب لهم نعيم الحياة ! . وإن الأصر فى مصر قد أصبح خطيراً جداً ، لأن الاحصاءات الأخيرة أثبتت أن العاملين يباغ عددهم نحو سبعة ملايين ، وأن نسبة العاملين منهم نحو المشر ، أى أن سبعمائة ألف امرأة يعملن عمل الرجال ، فكأننا نعطل كل عام سبعمائة ألف من الشبان الذين يصلحون لهذا العمل الذى تقتضيه منهم المرأة ! وإننى كرجل مارس مهنة التدريس فى الجامعة مدة طويلة ، أجد من الغرابة أن الطالبات اللاتي يكن فى مستوى الطلبة من حيث الدرجة العلمية التى أعطيت لهن ، كلهن يعملين ، وأما الشبان فلا يجدون عملاً . ذلك لأنه سرت عادة غريبة قضت بأن كل رئيس مصلحة ، أو رئيس إدارة فى شركة ، أو مدير فى عمل من الأعمال ، يختار له سكرتيرة

إليه بالقول المفرى الخادع ، ويمكنونه من العمل محل الرجل !! ولو أنهم دعوا المرأة إلى أن تكون إنساناً عليه تيمات فى الوجود كما أن له حقوقاً ، ولم يفرطوا فى تزكية هذا الطائفة الذى يظهر فى الطرقات وفى الأعمال نفسها ، لو فعلوا لكانوا منطقيين ولقالوا الحق الذى يجب أن يقال . إنك تدخل إلى دار العمل فى أى بيئة من البيئات ، حيث تعمل الأنثى ، فتراها قد أخذت كل زينتها ، وخلعت الثياب عن ذراعيها ، وكشفت عن ساقيها ، وصنعت لكل مظهر للإغراء فى جلوسها ، فهى فى الوقت الذى نحاول فيه أن نجعلها إنساناً عاملاً مسئولاً ، نجدها تخرج عن هذا المنهاج ، لتكون أنثى مغرية ، أو لتكون لعبة يلعب بها الرجال !!

ترك إذن هذا الجزء وننقل إلى الوظيفة الاجتماعية ، لأننا قلنا إن الحديث «الجنة تحت أقدام الأمهات» يكرم المرأة ويبين وظيفتها التى خلقت لها فى هذا الوجود ، لتكون وعاء الإنسانية ، ولتكون الراقية فى بيت الزوجية ، ولتكون السكينة الحامية لأولادها ، تدمهم بإنسانيتها وترعاهم بعواطفها وسجاياها وكال خلقها . أما الرجل فوظيفته فى الحياة أن يعمل ويكدح ويحمى تلك الجنة الكريمة التى تنشئها المرأة فى البيت ، والنبي يقول : «كسب راع ، وكل راع مسئول عن رعيته ، الرجل راع فى أهله ، ومسئول عن رعيته ،

لا سكرتير! . ومهما تكن مؤهلات السكرتير لا يقبل ، ومهما تكن ضالة مؤهلات السكرتيرة تقبل ، لأن لها مؤهلات أخرى من مسحة الوجه ومن لطف الحديث... إلى آخره .

إنني أرى أن عمل المرأة فيه إخلال اجتماعي من ثلاث نواح : الناحية الأولى أنه يفسد المجتمع ، والناحية الثانية أنه يفسد المرأة ، فإن أنوثتها تضعف بالاختلاط . وإنك لترى الفرق بين امرأة عاملة وامرأة غير عاملة واضحا جليا في أن أنوثة غير العاملة فطرية واضحة جلية ، أما الأخرى فضطربة بين أن تكون رجلا وبين أن تكون امرأة ! . والناحية الثالثة أن كل امرأة تعمل تسد الباب على رجل يطلب العمل ، وإن ذلك يؤدي إلى مشا كل خطيرة جداً ، وقد أثبتت التجارب أن عمل المرأة لا يأتي بإنتاج الرجل ، وخصوصاً إذا تزوجت وحملت ، فإنها يكون عبء حملها على بطنها ، وتكون هي عبئاً على العمل !... إنني أبيع عمل المرأة في صور أستمدّها من الإسلام لامن أمر آخر : أبيع للمرأة أن تعمل معاونة لزوجها كذلك القروية التي تسير إلى الحقل بجوار زوجها ، وهي تحمل الفأس وهي تحمل إناء البذور ، وهو يفلح الأرض وهي تلتقي بالبذور . وهذا تعاون يصور الزوجية العالية المقدسة . ولو أنني أردت أن أجد صورة مثالية لامرأة ،

لوجدتها في تلك المرأة القروية ! . كذلك في بعض الصناعات قد يحتاج الزوج إلى المرأة أن تعاونه في صناعته ، كالصناعات اليدوية ، وخصوصاً صناعة النسيج . وكنت أرى الرجل في مدينتنا المحلة الكبرى يعمل في النول ، وهي تعد له كل شيء يحتاج إليه النول . والمرأة العربية من قديم الزمان كانت تقوم بأعمال في داخل البيت لا تتناق مع واجبها الطبيعي ، ولا مع أنوثتها ، ولا تعارض بها عمل الرجل ، فكانت تحوك الثياب ، وكانت تدبغ الجلود . وإن التاريخ ليروي لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذهب يخطب السيدة أم سلمة ، كانت تدبغ جلوداً ، وكانت على يدها آثار من ذلك ، فذهبت تفسل يدها قبل أن تلتق النبي صلى الله عليه وسلم ... هذا النوع من العمل طبيعي لاشك فيه ، وهو يفتق أعين الذين يدعون أن المرأة إذا لزم البيت لا تعمل .

وهناك صورة ثانية نبيح للمرأة فيها أن تعمل : فقد تضطر المرأة للعمل بحكم الحاجة ، حيث لا يكون لها ولي ينفق عليها وعلى أولادها ، وليس لها زوج يقوم بهذا الاتفاق ، فإنه في هذه الحالة يجوز لها أن تعمل . وأقول إن هذه الصورة لا تتصور إلا في عصرنا الذي لا تنفذ فيه ضريبة الزكاة ، ولا تقام الأحكام الإسلامية ، لأن مثل هذه المرأة - لو كانت الأحكام الإسلامية قائمة - كان يفرض لها من بيت المال

أن يمنع النفقة ، ولكن ليس له أن يمنعها من الخروج . وقالوا في ذلك : إن خروجها خروج لفرض كفاً ، فمنعها منع من واجب ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولكنهم قالوا وكأنهم يخاطبون عصرنا : وإذا كنا نمنع الرجل ، فإن عليها ألا تتبرج ، وألا تخرج بزينة ، حتى لا يفسد ذلك ما تؤديه من فرض .

الصورة الخامسة : أن تكون المرأة ذات

كفاية خاصة ، برزت فيها وبزت الرجال والنساء ممّا ، كأمراة نبغت نبوغاً خاصاً في الأدب ، أو في الكيمياء أو في الطبيلة ، أو في علم من العلوم يعد النبوغ فيه مؤدياً إلى فرض كفاً ، فإنني أستاذكم أو أستاذة أمثال الدكتور الفاضل عبد العزيز عامر في أن أقول : إن عمل امرأة تباه هذه الدرجة يكاد يكون قريباً من الخروج لفرض كفاً .

هذا ما أراه بالنسبة لما أتى به الإسلام من صون كرامة المرأة ، ومن إباحة العمل لها ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق .

الخلاصة

ان الاسلام كرم المرأة بما لم يسبق به قط من الشرائع ، ولا تزال بعض الأمم الأوربية لا تكرم المرأة تكريم الاسلام لها . وبالنسبة للاختلاط : لا يجوز الاختلاط بين الرجل والمرأة الا في أضيق الحدود ، عند وجود ضرورة أو حاجة ، وفي الحدود الشرعية . وبالنسبة لعمل المرأة ترى الندوة ان وظيفتها في حياتها أن تكون أمّاً وربة أسرة ، وكل خروج لها عن هذا النطاق يكون ضد فطرتها ، ولا يبيحه الاسلام الا لضرورة أو حاجة ، أو لأداء فرض كفاً أو عمل مناسب لها .

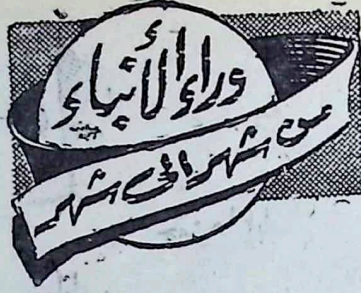
نفقة مستمرة دائماً . فإذا قلت إن المرأة في هذه الأيام تعمل سداً للحاجة ، فإنما أقول رعاية للمصر ، لأن هذا المصر لا تطبق فيه الأحكام الشرعية التي توجب النفقة على بيت المال للمرأة التي لا عاقل لها من زوج أو ولي . ومادام الأمر كذلك فإننا بحكم الظروف نقول إن للمرأة في هذه الصورة أن تعمل .

الصورة الثالثة : أن يكون عمل المرأة مناسباً

لكونها امرأة ، كتمليم البنات ، أو كطب النساء ، أو التمريض أو الولادة ، أو نحو ذلك من الأعمال التي تكون كفاية المرأة فيها أكبر من كفاية الرجل ، أو لا تغني فيها كفايته . وأذكر أننا كنا بالأمس نتباحث في أن يكون المملون في المرحلة الأولى من النساء جميعاً ، فقلت وقد توقعوا مني المارضة : إلى الماشرة فقط يجوز ، لأن السن إلى الماشرة تكون سن الحضانة ، والنساء فيها أفدر من الرجال على رعاية الأطفال . أما بعدها فلا يجوز .

الصورة الرابعة : أن يكون هناك قيام

بفرض كفاً لا تقوم به إلا المرأة ، وهنا يكون العمل واجباً ، كالتقابلة وكالمسلة . وقد قرر الفقهاء أنه لا طاعة للزوج في منع التقابلة ونحوها من أن يقوم بواجبها ، لأنه يمنعها من فرض كفاً . قالوا إن لزوج المرأة المحترمة أن يمنع عنها النفقة ، وهذا عن كل محترمة ، وجاءوا بالنسبة إلى التقابلة فقالوا : له



● أكد تقرير لعملاء التربية البريطانيين ، هذا الأسبوع ، أن الطفل الذي يضرب لكل هفوة يرتكبها يحفظ دروسه أسرع من الطفل الذي يكافأ على كل عمل يحسن القيام به .

« الأخبار »

● لقد ثار نقاش طويل حول العقوبة البدنية في التعليم ، فهناك من يؤيدونها وهناك من يعارضونها ، ولا شك أن التأديب إذا حقق غرضه دون عقوبة لم يكن هناك داعٍ يدعو إلى هذه العقوبة ، ولكن بعض التلاميذ لا يرتدعون إلا بعقوبة بدنية ، وقد سبق الأولون من المربين العرب والمسلمين إلى ذكر ذلك ، ثم جاء هؤلاء العلماء من المربين المعاصرين ليرددوا رأيهم هذا ، فليتنا نعتز بما ورثنا من تعاليم وقيم ومبادئ .

● أرسلت الأمهات في النرويج برقيات إلى زوجة خروشوف لمطالبته باستخدام نفوذها لمنع الاتحاد السوفيتي من تفجير قنصلته الذرية الرهيبة .
« الأهرام »

● اتما خلق الله هذه الدنيا لينعم بها الإنسان ويسعد ، لا ليشقى بها أو يفسد فيها . ولكن الإنسان المغرور بعلمه يخيل إليه أحيانا أنه قد بلغ الغاية وأشرف على النهاية ، فيسرف في الفساد والعناد ، والله من فوقه قوى عزيز ، وصدق العلي الكبير : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجْجِكُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ، وَإِذَا تَوَلَّى سَمَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَهُنَالِكَ الْخَرْتُ وَالْزَّلْ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَفْسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ، وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ » .

● يطير الشيخ شلتوت في مارس القادم إلى نيجيريا بدعوة من وزير الأشغال فيها : ماجد محمددين .
« الأهرام »

● المستقبل غد محبوب ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما أجمل أدب القرآن حين يقول : « وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَإِذْ كُرِّرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا » .

محمد علي حنا



جهّزها إبليس

خرج سليمان بن يسار إلى الحج ، وكان جميلاً وسيماً ، وكان معه رفيق له ، وسارا حتى نزلا بالأبواء ، فذهب رفيقه إلى السوق ، ليشتري شيئاً ، وبقي سليمان في الخيمة وحده ، فبصرت به أعرابية ، ورافها جمال وجهه ، فذهبت إليه وجلست بين يديه ، وأسفرت عن وجهها ، وكأنه فلقه قر ! فقدم إليها طعاماً ، ظاناً أن بها جوعاً ، وأنها ماجأت إلا للطعام ، ولكنّها قالت : لا أريد طعاماً ، وإنما أريد ما يكون من الرجل لأهله ! فقال لها : جهّزك إبليس ، لعنه الله ! ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب ! فلما رأت كثرة بكائه ، وأن حاجتها منه ليست مقضية ، سدلت برقعها على وجهها وانصرفت . وجاء رفيقه فراه ، وقد انفخت عيناه من البكاء ! فقال له : ما يبكيك ؟ قال : خير ، ذكرت صبيتي . قال : لا والله إلا أن لك قصة ، لأن عهد صبيتك قريب . ولم يزل به حتى أخبره ، فوضع رفيقه ما كان معه ، وجعل يبكي بكاء شديداً ! فقال له سليمان : وأنت ما يبكيك ؟ قال : أنا أحق بالبكاء منك ، لأنني أخشى أن لو كنت مكانك ، لما بصرت عنها ، ولوقعت في شركها ! ولما انتهى سليمان من السعي والطواف ، أخذته سنة من النوم ، فرأى رجلاً وسيم الطلعة ، طيب الرائحة ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا يوسف ، قال : يوسف الصديق ؟ قال : نعم . قال : إن شأنك مع امرأة العزيز زليخة لعجب ! فقال له يوسف عليه السلام : شأنك وشأن صاحبة الأبواء لا عجب !

صفات المتقين

سأل همام الإمام علياً رضي الله عنه أن يصف له المتقين ، وكان همام من أشد الناس تقياً ، فقال الإمام : صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ! ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً في علم ، وعلياً في حلم ، وتحملاً في فاقة ، وصبراً في شدة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى . يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، إن بُغِيَ عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له ! . فصعق همام صعقة كانت فيها نفسه ! فقال علي : أما والله ، لقد كنت أخافها عليه ! ثم قال : أهكذا تصنع المواعظ بأهلها ؟ فقال قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ، لا تموت مع انطوائك على أمرار هذه المواعظ البالغة ؟ فأجابه علي : ويحك ! إن لكل أجل وقتاً لا يعدوه ، وسيباً لا يتجاوزوه ، فمهللاً لا تعد لمثلها ، وإنما نفت الشيطان على أسنانك ! .

عبد الرحمن الضبيع

طرح

مهدى

اختلاط وعدم تفرج ، وعن عيشها في مجتمع النساء منفصلة عن مجتمع الرجال ؟

وقد يبدو للبعض الآخر أن يسأل : كيف نحمل أخلاق المرأة إذا أبيع لها أن تقوم بهذه الأعمال في الزراعة والتجارة ووظائف الدولة ؟. وهذان السؤالان ، وأمثالهما من الأسئلة التشكيكية ، كثيراً ما تبدوا لأولئك وهؤلاء حين تعرض عليهم أنظمة الإسلام .

والجواب على مثل هذه الأسئلة : هو أننا حين نعرض النظام الاجتماعي في الإسلام ونحدث عنه ، بل حين نعرض كافة أنظمة الإسلام ونحدث عنها ، إنما نعني تطبيقها العملي في المجتمع الإسلامي تطبيقاً انشائياً ، ولا نعني هذه المجتمعات الحاضرة التي تفكك فيها حضارة غير حضارة الإسلام ، وتطبق عليها أنظمة غير أنظمة الإسلام ، وتسيطر عليها أحوال تتناقض مع الإسلام .

إننا لا نعني أن تذهب المرأة إلى دائرة الحكومة تعمل فيها — ولو إلى المستشفى ممرضة — بعد أن تكون قد أخذت زينتها ، وأعدت نفسها كأنها ستزف وهي عروس ! وتذهب تنبدي للرجال بهذه الزينة المغرية ،

خلق الله المرأة والرجل ، وجعلهما في الحياة شقيقين يتعاونان في نطاق الفضيلة وظلال العفة ونور التقوى وضوء الاستقامة ، وسوى بينهما في كل أمر يقبل المساواة دون إثم أو ضرر ، وجاء الإسلام يحدد لكل من الرجل والمرأة المجالات الطبيعية التي يستطيع أن يستخدم فيها نشاطه الأصيل لتكوين المجتمع الرشيد والحياة الفاضلة .

ومن الظلم الواضح للإسلام أن يقال إنه لم يعط المرأة حقوقها وحريتها وشخصيتها ، لأنه قد أحترمها وأباح لها أن تعبر عن رأيها ، وأن تتصرف في أمورها ، وأن تؤثر في توجيه مجتمعها ، وأن تزاوِل من الأعمال ما تحتاج إليه ويلابث طبيعتها ، وفي الوقت نفسه وضع كل الحواظ التي تصون عفة المرأة وكرامتها وأخلاقها وأئوئتها المستقيمة .

وفي كتاب «النظام الاجتماعي في الإسلام» اتفق الدين النبهاني ، جاءت هذه العبارة حول الموضوع الذي نتحدث عنه : « قد يبدو لبعضهم أن يسأل : كيف يتأتى للمرأة أن تقوم بأعمالها التي أباحها لها الشرع مع هذه القيود التي وضعها عليها من عدم خلوة وعدم

تحدث عنه هو المجتمع الذي تسوده التقوى ،
والذي يعمل للتقرب من الله وطلب رضاه
والذي يحارب كل ما يقعارض مع هذه التقوى ،
ويزيل كل ما يحتمل أن يتناقض مع القرب
من الله » .

وهكذا يمكن للمرأة المسلمة أن تستمتع
بحقوقها الواسعة ، وتقوم بواجباتها الكثيرة ،
وتمارس حريتها السامية ، في جو يلائم هذا
النشاط ، ولا يقلبه إلى عوالم إضرار أو إفساد .
وهذا الجو يحققه مجتمع تكون الصلة الجنسية
بين الرجل والمرأة قائمة فيه على الزواج المشروع ،
لا على الوسائل المحرمة ، ويكون الاحترام
متبادلاً بين الرجل والمرأة ، ويكون هناك
أدب وخلق وتربية وفضيلة ، وتكون هناك
رقابة أسرية حكيمة على الناشئين والناشئات ،
بحيث يسرون في حياتهم بخطوات موقفة
لا جوح فيها ولا جود ، ولا إسراف فيها
ولا اعتساف ويوم تتحقق كل هذه
الدعائم في المجتمع الإسلامي تسقط المرأة أن
تسير فيه آمنة مطمئنة ، دون أن ينظر إليها
الرجل وكأنها لحم شهى معروض يحرض على
الاعتداء والانتهاك ! ! .

ليكن الرجل في المجتمع تقياً فاضلاً ،
ولتكن المرأة عفيفة محتشمة ، وحينئذ
ينطلقان في رحاب الحياة شقيقتين متعاونتين ،
تترف عليهما راية المحبة والأخوة والصفاء .

عقيدة المحرمات

تهقف بهم أن تهفو شهواتهم نحوها ! ولانعى
أن نذهب إلى المتجر في مثل هذه الزينة ،
تباشر البيع في حال من التطري والإغراء ،
وبأسلوب من الحديث يفرى المشتري أن
يستمتع في مساقطتها هذه المساومة ، في سبيل
أن تغلى عليه ثمن السلعة ، أو تنفريه بالشراء ! .
ولانعى أن تشتغل كاتبة عند محام أو سكرتيرة
لصاحب أعمال ، وترك حرة تخلى به كلما احتاج
العمل إلى الخلوة ، وتحتلط معه لحاجة أو لغير
حاجة ، جماعياً أو فردياً ، ولانعى حتى الرخصة أن
تذهب إلى الطبيب ليخفى بها دون وجود محرم
أوجع من النساء ، وأن يباح له في هذه الخلوة
أن يكشف عن جسمها في أى مكان يريد هو
حين يزعم أن الفحص الطبي يقتضيه ! .

لانعى شيئاً من ذلك ولا أمثاله مما يحصل
في هذا المجتمع المنحط ، وفي هذا الواقع
السيئ ، ولانعى أبداً أن يباشر الإنسان
ما أبيع له من أعمال في حدود وقيود ، دون أن
تكون هذه القيود التي جمعت الأعمال في
حدودها موجودة .

وإنما نعنى المجتمع الإسلامي الذي يطبق
مبادئ الإسلام ، والبيئة الإسلامية التي تعيش
في أجواء الإسلام ، وتتحكم فيها أوامر الله
ونواهيه ، ويسيطر عليها العرف الإسلامى
العام الذى يجعل كل مسلم حارساً على الفضيلة
في نفسه وفي غيره ، فضلاً عن وجود الدولة
الإسلامية التي تطبق شريعة الإسلام ، وتحمل
للناس دعوته . والمجتمع الإسلامى الذى

الفتاوى

ص ١ - السيد / الأستاذ رئيس تحرير مجلة لواء الإسلام :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد اطلعت على مقال تحت عنوان « فكرة » الأستاذ على أمين في مجلة « حواء » بالعدد ٢٦٦ بتاريخ ٢٨/١٠/٦١ ، والمقال هو انتصار لفكرة « التلقيح الصناعي » وتحميض عليه ، وترغيب للمجتمع فيه ! وبما أن هذا الموضوع ليس بالموضوع الهين السهل ، بل إنه موضوع يحتاج إلى بحث من النواحي الدينية والاجتماعية ، بل إنه يبدو لنا أنه غير جائز شرعاً ، وأنه على الأقل يحتاج إلى فتوى دينية صحيحة سليمة ، فضلاً عن أن آراء المجتمع لا يمكن أن تجمع على سلامته ! فكان الأجدر بالأستاذ كاتب المقال ألا يتناول بهذا الأسلوب القاطع بصلاحيته ، المرغب فيه ! وإني كسيدة مسلمة أرغب في العمل على أن يعمل كل فرد من جانبه على خدمة هذا الوطن في حدود ما ينفع وفي حدود ما يعتمد به عن مواطن الزلل ، أرجو أن تفضلوا بإحالة هذا الموضوع على فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ليمد رأيه فيه ... والله الموفق إلى كل ما فيه الخير ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وهيبة مأمون الشناوى

تحريراً في ٣٠/١٠/١٩٦١

أمانة صندوق جماعة السيدات المسلمات بالحلمية الجديدة بالقاهرة

ج ١ - شاع في أمريكا ما يسمى بالتلقيح الصناعي ، بأن تحقن المرأة التي لا ينجب زوجها بماء رجل آخر مفتح ، فتحمل ، وقد أقرت النظم الأمريكية ذلك . ونحن نقول إنه حرام ، لأن فيه اختلاط الأنساب ، إذ ينسب الولد لغير أبيه . فالمرأة التي صنعت ذلك من غير علم زوجها ارتكبت الوزر من ثلاث نواح : الناحية الأولى - هذه العملية التي هي في معنى الزنى من حيث اختلاط الأنساب . والناحية الثانية - أنها غشت زوجها وكذبت عليه إذ فعلت ذلك بغير علمه وأوهمته أن الحمل طبيعي منه . والناحية الثالثة - أنها جعلت الولد جزءاً من أسرة لاصلة لها به . وإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الدخول بالحامل إذا كانت أمة ، وعلل النهي بالآيسق ماؤه زرع غيره . وقرر الفقهاء أن الزواج من الحامل زنى إذا كان الزواج صحيحاً ، فإنه لا يجوز أن يدخل بها حتى لا يسق ماؤه زرع غيره .

ص ٢ - حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :

فقد قرأت في صحيح مسلم الجزء الثامن صفحة ٢٤ الحديث التالي :

(حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة ، قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فكلما بشيء لا أدري ماهو ، فأغضباه ، فلعنهما وسبهما ، فلما خرجا ، قلت : يا رسول الله ، ما أصاب من الخير شيئاً ما أصاب هذان ؟ قال : « وما ذاك » ؟ قالت : قلت : لعنهما وسببتهما ! قال : « أو ما علمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت : اللهم إنما أنا بشر ، فأى المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً ») .

فأرجو أن تبين بما أوتيت من علم وبيان مدى صحة هذا الحديث ، ومدى التوفيق بينه وبين مستوى الرسول صلى الله عليه وسلم وخلقه ، فقد كان هذا الحديث شائك المعنى ، وما أحببت أن أتخذ بصده حكماً أو رأياً حتى أسأل أهل الذكر . فالله سبحانه يقول : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » وشكراً لفضيلتكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أحمد أبو الملا

تحرير في ١٠/١٠/١٩٦١

شارع ماري جرجس رقم ١ زقاق أبو الملا بمصر القديمة

ج ٢ - مادام الحديث ليس في رجاله من يطمئن فيه ، وثبتت عدالتهم ، فإنه ليس لنا إلا أن نقبله . وصحيح مسلم ثاني اثنين من كتب الحديث يُمدّان أشد كتب الحديث وثاقة وصدقا . وإذا قبلنا الحديث ، فإننا نؤوله بأن ذكر النبي للرجلين بسوء لا يمدّ نقصاً في كمال النبوة ، ولا نعرف ماهية السب الذي ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . والذي يجب أن يعلم هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغضب ، ولا يغضب إلا للحق ، وكان يقول ضارعاً إلى ربه : « اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر ، فإذا دعوت على مؤمن ، فاجعل دعائي له رحمة » .

والخلاصة أننا لا نجد في الحديث ما ينقص قدر النبوة ، صلى الله عليه وآله

وصحبه وسلم .

محمد أبو زهرة

الثلاجة (أيلا) الجديدة

شجرة يانعة من ثمار الخبرة الفتية واتفا



9 قدم
مكعب

رائعة المنظر
مستقنة الصنع
جامعة لكل المزايا
مضمونة ٥ سنوات

صفحة	
٥٤٧	من الأحاديث القدسية
٥٤٨	تفسير القرآن الكريم محمد أبو زهرة
٥٥٣	في موطن البأس «حديث» أحمد الشرباصي
٥٥٧	الرسول في المدينة «تأديب اليهود» محمد البنا
٥٦٢	المتحرفون يعطلون نصوص الإسلام محمد أبو زهرة
٥٦٨	احتكار محمد كامل البنا
٥٧١	عائد من الحرم (٥) أحمد الشرباصي
٥٧٧	مشاعل على الطريق «سماحة الدين» عبدالرحيم فوده
٥٨٠	أحدثك عن ثلاثة عبدالرحمن الضيع
٥٨٢	من أعلام الإسلام «حسان بن ثابت» عبد المقي المشاوي
٥٨٥	التجليل في الأحكام الشرعية (٣) زكريا البري
٥٨٨	ندوة لواء الإسلام «مكان المرأة في المجتمع الحديث» التحرير
٦٠١	وراء الأنباء محمد علي شتا
٦٠٢	أنابيش عبد الرحمن الضيع
٦٠٣	ركن المرأة السليمة «طريق الهدى» عقيلة الجلات
٦٠٥	الفتاوى محمد أبو زهرة

مجلة لواء الإسلام

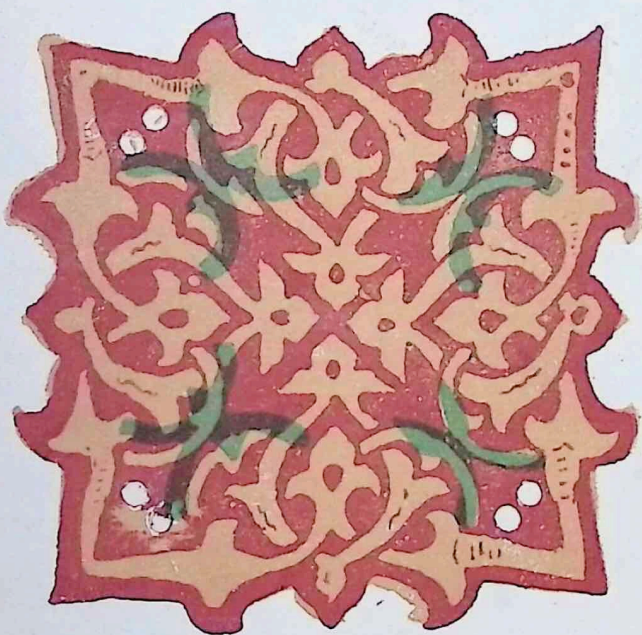
مجلة دينية ثقافية اجتماعية

تحت إشراف شيخنا من اتقاه قلب الأمة العربية خلاصة
التفكير الإسلامي في أساليب رابع

صاحب الإحياء: أحمد حمزة رئيس التحرير: عبد الرحمن إبراهيم الضيع

برقيا: الزهراء بمصر - ص ١٠٠ - ١٩٨٩ - تليفون: ٥٠٧٢١
الطبعة: ١١ شتاء شريف باشا - القاهرة

الاستاذ
النوي
في الجمهورية العربية المتحدة والسودان ٣ قرش مصري
في الديار العربية ٥٠ قرش مصري
في سائر أنحاء العالم ٧٥ قرش مصري



مطابع دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي النيناوي

الثلث ٣ قروش

جروب مجلات قديمة - تلجرام

<https://t.me/megallat/>

Not-for-salle